A
961.2
S527L

مواطن الشعوب الإسلامية
في إفريقية
١٠

ليبية

محمود شاكر

B. C. W. LIBRARY
22 FEB 1973
RECEIVED

الدار العالمية

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه ودعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد :

عندما بدأت اكتب في هذه المواضيع عن الشعوب الإسلامية كانت الفكرة عندي ألاّ أكتب عن أي مصرٍ عربي إلا في نهاية المطاف بعد أن انتهي من الكتابة عن جميع الأمصار الإسلامية ، اعتقاداً مني أني أكتب لأهل العربية ، وهم يعرفون بلادهم معرفة حقة ، فليست هناك حاجة للكتابة عنها ، فإنما الغرض التعريف بالمجهول ولكن ما أن قطعت شوطاً حتى صرت أُسأل عن سبب تأخير هذه الكتابة عن البلاد العربية ، منهم من يسأل ويريد الاطلاع ، ومنهم من يقول ناقداً أو ملمحاً بالنقد ، وقد فهمت من الفريق الأول أن الكثير الكثير من الذين يعيشون على الأرض العربية لا يعرفون عنها إلا النذر اليسير ، ومن يعرف لا تتجاوز

معرفته المصر الذي يعيش فيه أو قد يتجاوز ذلك إلى بعض البلاد التي تجاور مصره ، عن طريق الرحلات أو سماع الأخبار من التجار والمتنقلين بين البلدين . وبشكل عام فإن أهل المشرق لايعرفون إلا القليل عن المغرب ، وأهل المغرب لا يدرسون إلا النادر عن المشرق .

استجبت للطلب ، وأحببت البدء بأرض المغرب حيث أعيش في المشرق . ولكن سأضطر عند الكتابة عن البلاد العربية إلى التوسع بعض الشيء في النواحي التاريخية والجغرافية حيث يعرف الناس جزءاً غير قليل منها ، أو على الأقل أكثر مما يعرفون عن غيرها ولكني سأختصر ما شاءت لي الضرورة في الاختصار عن النواحي الاجتماعية والسياسية وخاصة المعاصرة منها حتى لا يكون نقداً لحكم أو مسايرة لاتجاه ، وسأبدأ في الكتابة عن ليبية — وأرجو أن أوفق — .

ليبية ذلك البلد الذي لم يكن ليلعب في الماضي ذلك الدور الكبير بين البلاد العربية لقلة سكانه الذين يعيش قسم منهم حياة متنقلة في صحرائهم الشاسعة ، أو يستقرون في واحاتها المتناثرة المتباعدة في أرجائها الواسعة ، يقل ارتباطهم مع بعضهم ، وتضعف صلتهم فيما بينهم لبعد المسكن وصعوبة الانتقال ، ولقلة مواردها التي لا تكاد تكفي مواطنيها على قلتهم ، فيعيشون على القليل ، لذا كان جلّ همهم تحصيل رزقهم ، وكل شغلهم تأمين حياتهم ، فلا يتدخلون بما هو أبعد من ذلك ، ولا يهتمون بما هو

أشمل ، لا يعرفون من قضايا العرب الكبرى أو شؤون العالم الإسلامي إلا كلمات متناثرة بعضها من نسج الخيال والآخر من حبك الرواة ، وإن كان فيها من الواقع فقليل غير مرتبط ببعض ، لا يحرك عاطفة ، ولا يسبب اندفاعاً .

أما الآن فقد أصبحت ليبية تلعب دوراً كبيراً بين الشعوب العربية والأمة الإسلامية ، وما ذلك إلا لأسباب كثيرة لعل أهمها :

١ً – البترول : التي أصبحت تعتبر من مصادره الرئيسية في العالم ، وهذا ما يجعلها موضع اهتمام بالنسبة لشركات البترول العالمية ، والدول المستهلكة للنفط والتي لا يكفيها ما تنتج هي ، أو التي لا تحوي أرضها على شيءٍ منه .

٢ً – هذه الثروة قد درت على البلاد أرباحاً كبيرة ، فابتدأت الحركة العمرانية فيها تأخذ مجراها الواسع ، وانطلق الناس من دول عربية مختلفة يسهمون في هذه الحركة وفي ذلك الاعمار ، فكانت ليبية محط الأنظار ، ومجال الاهتمام بكل ما يدور فيها من أحداث .

٣ً – انتهى العهد الملكي ، وجاءت الثورة لتنطلق بالبلاد من جديد نحو أهداف كبرى ما كان ليسعى إليها العهد الماضي بل لم يكن ليعبأ بها .

٤ً – شخصية رئيس البلاد الحالي الذى بدأ يتحرك ليس في

العالم العربي فحسب بل في العالم الإسلامي ، وما من قضية إلا وله رأي فيها، يعرضه بصراحة دون حذر ، فمن تهديد للتدخل في الفيليبين حيث يضطهد المسلمون هناك في أقصى الشرق ، إلى مساعدة الباكستان حيث يعتدى على المسلمين بشكل علني وبأبشع أنواع الوحشية والهمجية وبمساعدة الدول الكبرى للهند ، حيث نراه يقف علناً بجانب باكستان ، إلى دعم المقاومة الفلسطينية صراحة رغم المواقف الأخرى من البلدان الأخرى . وكذلك الموقف الأخير الذي حوّل موقف أوغندة لمصلحة العرب ورئيسها عيدي أمين ، هذا إلى جانب موقفه الجريء بالنسبة لجارته تشاد .

لقد كانت ليبية إحدى الدول الثلاث التي كونت اتحاد الجمهوريات العربية مع مصر وسورية . كما كانت عاصمتها طرابلس مقراً للمؤتمرات العديدة،ويعتبر معمر القذافي من أعداء الشيوعية البارزين صراحة وبكل تأكيد ، وهذا لا يعلنه زعيم عربي آخر ، وقد وقف من حركة السودان موقفه المعروف ، كما أنه يعلن إسلامه بقوة وينادي بتطبيقه كأساس للحكم . هذا إضافة إلى توجيه الأنظار وتسليط الأضواء على شخصية الرئيس الليبي الذي يمكن أن يلعب دوراً مهماً في المستقبل ، يمكن أن نضيف تطور المواصلات وزيادة الاهتمام ، وسهولة نقل الأخبار مما جعل ليبية اليوم غير الأمس . وأخيراً نرجو من الله أن نوفق في

هذا التعريف بليبية ، وأن يكون رائدنا الصدق ، وطريقنا الحق ، وهدفنا الخير ، وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، كما نرجو من الله أن يسدد خطانا، ويهدينا سواء السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير .

٢٣ / ٤ / ١٩٧٢   **محمود شاكر**

جغرافية ليبية

ليبية تلك الأرض الواسعة الممتدة من غرب مصر حتى بلاد المغرب العربي ، وتشغل الصحراء الجزء الأكبر منها، ولا تحتل الأرض الزراعية ذات المناخ المعتدل والأمطار الكافية سوى بقعتين بالقرب من البحر ، احداهما في الغرب وهي طرابلس والثانية في الشرق وهي برقة ، ويفصل بينهما شريط ساحلي طويل تصل الصحراء إليه مباشرة ، ويكون على شكل خليج واسع يعرف باسم خليج سرته .

ولعل كلمة ليبية مشتقة من اللبوة وهي أنثى الأسد ، حيث كان المناخ قديماً أكثر ملاءمة لحياة الأسود مما هي عليه الآن ، وفي الأرض آثار تدل على ذلك المناخ الأكثر رطوبة ، وأول ما أطلق هذا الأسم عليها ما ورد في التوراة باسم «ليابيم» ويقصد به انثى الأسد أو المنطقة التي تكثر فيها السباع ، كما أن بعض

المؤرخين العرب يطلقون عليها اسم « لوبيا » ويجعلون هذا الاسم نسبة إلى لوبي بن حام بن نوح عليه السلام .

تحـــاذي ليبية البحر الأبيض المتوسط من الشمال بطول ١٩٠٠ كم ، ومن خط عرض ٣٣ شمالاً ، وتلقي بداخلها نحو الجنوب حتى تصل إلى خط عرض ١٩ شمال خط الاستواء ، وبهذا تشمل جزءاً كبيراً من الصحراء ، وتكاد تطرق بامتدادها هذا نحو الجنوب المنطقة السودانية . وتبلغ هذه المساحة ١,٧٥٩,٠٠٠ كم^{2} ، وهي تقع بين البحر الأبيض المتوسط في الشمال ، وتونس والجزائر في الغرب ، والنيجر وتشاد في الجنوب ، ومصر في الشرق ، كما تحد السودان من الجنوب الشرقي .

يكون السهل الساحلي في طرابلس رملياً منخفضاً ، وأكثر اتساعاً مما في برقة ، ويزيد عرضه على ١٠ كم ، ويمتد على طول ٣٢٥ كم ، ويكون خصباً في الجهة الغربية بينما تغطي المستنقعات قسمه الشرقي ، وتعرف باسم سهل السبخات ويضم هذا السهل ٧٠ ٪ من سكان هذه المقاطعة ، ويعرف هـــذا السهل بقسمه الجنوبي باسم سهل « جفارة » وفي جنوب هذا القسم تظهر حواف الهضبة الإفريقية ، وتسمى باسماء الجبـــال ، وأشهرها جبل نفوسة ولا يزيد ارتفاعه عن ٩٠٠ م ، وتمتد جنوب هذه الحواف أراض واسعة تعرف باسم الحمادة الحمراء ، وفيها مجار مائية تدل على ماضٍ مطير ، ولعل أشهر هذه الأودية وادي « صوفجين » ووادي « زمزم » اللذين يصبان في مستنقعات طاورغاء الملحية ،

ووادي « الشرشارة » الذى يحوي مجراه على بعض العيون والآبار التي تستخدم مياهها في الزراعة ، ويمر هذا الوادي في طرهونة ، وكثير من أودية منطقة فزان ، كما أن بعض هذه الأودية كثيراً ماتفيض مياهها في موسم المطر الغزير . وتصبح سيولاً جرافة ، وتسبب أضراراً كثيرة مثل وادي « المجينين » الذي يمر في مدينة طرابلس ، وتقيم الحكومة السدود في بعض الأودية للاستفادة من مياهها المتجمعة خلف السدود طيلة فصل المطر ، في الري أثناء فصل الجفاف .

وتظهر حواف الحمادة الحمراء من الجنوب على شكل مرتفعات تعوف باسم « جبل السودا » الذي يصل ارتفاعه إلى ٨٢٠ م

ويمتد جنوب الحمادة الحمراء وجبل السودا منخفض فزان الذي تحده من الجنوب جبال « الأحجار » وجبال « تيبستي » والتي يصل ارتفاعها إلى ٣١٥٠ م ، وهي ذات صخور بركانية سوداء ، ويوجد في هذا المنخفض عدد من الواحات أشهرها « سبها » و « مرزوق » و « القطرون » كما يوجد فيه عدد من الأودية أشهرها وادي « الشاطىء » ووادي « الآجال » ، وتكثر الواحات في هذه الأودية فتكون على شكل مجموعات ، كما يتبع هذا المنخفض واحة « غات » القريبة من الحدود الجزائرية وتكاد حدود ليبية الغربية تتبع خط الطول ١٠° شرقاً .

أما في القسم الشرقي فتمتد منطقة برقة في الشمال ، ويعرف

القسم الشمالي الغربي منها باسم الجبل الأخضر ، ويقرب ارتفاعه من ١٠٠٠ م ، ويكون على شكل هلال ، ويتبع الساحل مسافة ٢٥٠ كم ، وينحدر انحداراً شديداً نحو البحر ، أما انحداره نحو الجنوب فيكون تدريجياً بسبب التعرية المائية ، مما جعل التربة خصبة هناك ، وتعرف باسم برقة الحمراء . وفي غرب برقة توجد سلسلة من الأحواض تشغلها الواحات ، وتعرف باسم واحات منخفض العقيلة ، كما أن بعض المناطق المنخفضة لا تزال فيها آثار من المستنقعات تدل على أن خليج سرته كان يمتد إلى هذه المناطق ثم امتلأ بالرواسب . أما السفوح الشرقية للجبل الأخضر فتنحدر بانتظام نحو الساحل وتعرف هناك باسم « مرمريكا » وعاصمة هذا القسم مدينة طبرق .

وتمتد جنوب برقة منطقة واسعة تشغل الكثبان الرملية جزءاً منها ، ويضم هذا القسم واحات الكفرة وعددها خمس واحات متجمعة مع بعضها وهي « الجوف » و « بويمة » و « التاج » و « الطلاب » ، وتساير الحدود الشرقية خط الطول ٢٥ شرقاً وكانت واحة جغبوب ضمن الأرض المصرية إلى أن عقد اتفاق في ٦ كانون الأول ١٩٢٥ م بين مصر وايطاليا أدخلت بمقتضاه هذه الواحة ضمن الأراضي الليبية مقابل تنازل ايطاليا لمصر عن بئر الرملة الواقعة شمال غرب السلوم بنحو ١٠ كم ، وعن منطقة تحيط بالبئر المذكورة وعلى هذا أصبحت الحدود وسط منخفض « سيوه » و « جغبوب » حيث تقع جغبوب ضمن ليبية ، وسيوه ضمن أرض مصر .

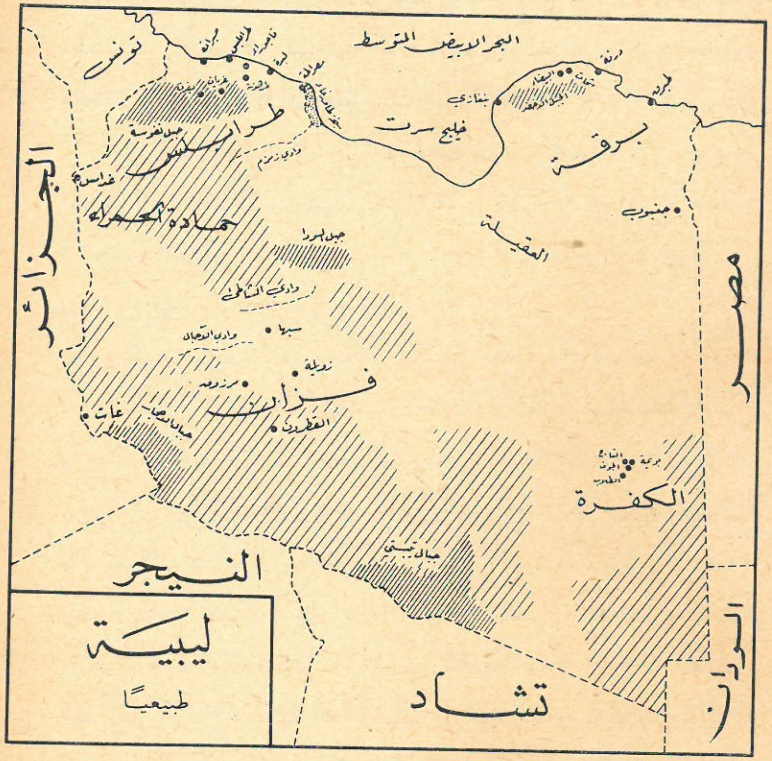

المناخ

تقع ليبية ضمن المنطقة الصحراوية ولا يشذ عن ذلك سوى القسم الشمالي في مقاطعتي برقة وطرابلس حيث تقعان ضمن المنطقة المتوسطية ، وبهذا يختلف هذان الجزءان عن بقية أرجاء البلاد ، ويكونان تحت تأثير البحر من جهة أخرى . أما الجهات الداخلية فلا تخضع إلا لأثر الصحراء .

تكون الحرارة معتدلة في المناطق الساحلية صيفاً وشتاءاً ، والمدى الحراري ضئيل ،ويفصل بين برقة وطرابلس خليج سرته الذي تصل المؤثرات الصحراوية حتى سواحله . أما المناطق الجبلية (الجبل الأخضر وجبل نفوسه) فتكون باردة ،تصل درجة الحرارة أحياناً إلى ما دون الصفر ، كما تهب عليها في بعض الأعوام عواصف ثلجية ، أما في الصيف فتكون الحرارة معتدلة ، وهذا ما جعل المدن الواقعة عليها مصايف هامة مثل مدينة « البيضاء » التي ستكون عاصمة البلاد ، ومدينة « شحات » في شرقها هذا في برقة ، أما في طرابلس فهناك مصايف « غريان » و« يغرن » وغيرهما .. أما المناطق الداخلية فتكون باردة شتاءً وحارة صيفاً ،

ويكون المدى الحراري كبيراً حيث ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف إلى ٥٠ درجة بينما تنخفض في الشتاء إلى درجة التجمد .

تهب على الأجزاء الشمالية في فصل الشتاء الرياح الشمالية الغربية الرطبة القادمة من البحر، ولا تتعدى هذه الرياح المناطق الساحلية ، بينما تهب في فصل الصيف رياح جنوبية قادمة من الصحراء تحمل الحرارة اللافحة وتسمى « القبلي » وهي تضايق القوافل في الصحراء ، وتحجب الرؤيا ، وتتلف المزروعات وتنفذ إلى داخل المنازل برمالها الناعمة .

تهطل الأمطار على المناطق الساحلية نتيجة الرياح الشمالية الغربية الشتوية ، ولكن هذه الأمطار غير منتظمة ، وتختلف من عام لآخر ، وتصل وسطياً إلى ٣٠٠ مم ، وترتفع إلى ٥٠٠ — ٦٠٠مم في المناطق المرتفعة ،وهي في برقة أكثر منها في طرابلس لأن الأخيرة تقع في ظل المطر بالنسبة للمرتفعات التونسية ، وتندر الأمطار في المناطق الداخلية .

وليس في ليبية أنهار ،وإنما سيول تجري عقب الأمطار وقد تسبب الفيضانات ولكنها تجف بعد انقطاع المطر . وهناك ما يدل على ماضٍ مطير تدل عليه الأودية الكثيرة الجافة ، وهو السبب في وجود طبقة غنية من المياه الجوفية تظهر أحياناً في بعض المنخفضات فتشكل الواحات ، أو تستخرج بواسطة الآبار المنتشرة في الصحراء .

الجاهلية الأولى

على الرغم من أن الصحراء تشكل القسم الأكبر من ليبية ، وتعيش فيها قبائل متنقلة ، والقبائل المرتحلة لا تتصل بالأمم المجاورة إلا قليلاً ، ولا تحتك بالشعوب القريبة منها إلا احتكاكاً يؤمن مصالحها ويحقق منافعها ، ولكنها تعيش في صحرائها شبه منعزلة لا يهمها سوى معرفة مواطن الماء ومنابت العشب ، ولا يشغلها سوى أن تكون حرة في منازلها لا يسيطر عليها أحد ، ولا تشاركها قبيلة أخرى في مراعيها ، كما لا تفكر في أن يطغى أفرادها على غيرهم ، وإن كانت تحب أن تعتدي على منازل جيرانها من القبائل إن رأت فيها الأعشاب أكثر خضرةً وبطون أوديتها أكثر ماءً، وهذا ما يجعل البداة يغيرون على أهل الحضر إن أقفرت باديتهم ،وبخلت عليهم مواطنهم ،فيأخذون حاجتهم ، ويعودون إلى قلب صحرائهم . حدود القبائل هذه باديتها ، وقطعانها مصدر غناها ، وما تجود به السماء من ماء هو حياتها ، ورغم هذا فقد كان سكان ليبية على اتصال مع الشعوب المجاورة

حيث اندمج السكان مع المصريين ، فأرضها يتم بعضها بعضاً لا يفصلها حاجز ، ولا يحجزها مانع ، وقد استطاع الليبيون أن يحكموا دلتا النيل فترة طويلة من الزمن تقارب القرنين عرفت في تاريخ مصر باسم عصر الملوك الليبيين .

وكما انتقلوا إلى مصر هاجر إليهم عدد من اليونان ، وأسسوا عدداً من المدن أشهرها مدينة « قورينا » وهي بلدة « شحات » اليوم . وكذا وصلها الفينيقيون ، وأقاموا مدناً تجارية أهمها « صبراته » و « لبدة » وذلك في القرن الثامن قبل الميلاد .

وعندما استولى الآشوريون على بلاد الفينيقيين في سورية استقلت قرطاجة في شمال تونس وانفصلت عن الوطن الأم في سواحل بلاد الشام ، فخضعت المدن الفينيقية في ليبية إليها ، أما برقة فكانت تحت نفوذ المدن الاغريقية ، وقد وصلها الاسكندر الكبير المقدوني ، ووحد هذه المدن ، وضمت في أيام بطليموس إلى المملكة المصرية ، وحصل صدام بين قرطاجة والاغريق على أرض طرابلس .

وبعد انتهاء الحروب البونية وزوال قرطاجة على أيدي الرومان عام ١٤٦ ق.م ، خضعت طرابلس للرومان ، بينما كانت برقة تحت حكم البطالمة خلفاء بطليموس أحد قادة الاسكندر الذي استقل في مصر وجعل عاصمته الاسكندرية ، وأسس دولة البطالمة هذه . ولكنها دانت أخيراً للرومان بعد احتلال روما لمصر عام ٣٢ ق.م على يد أوكتافيوس .

وبعد ضعف روما وخضوع اسبانيا لحكم الوندال الذين بسطوا

نفوذهم على المنطقة بأكملها خضعت طرابلس لهم ، كما خضعت المناطق المغربية مثل قرطاجة وغيرها ، ولكنها عادت مرة ثانية للرومان أيام جوستنيان وذلك عام ٥٣٣ م ، وبقيت تحت سيطرتهم حتى أنقذها المسلمون بقيادة عمرو بن العاص أيام الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

كانت أرض ليبية في هذه المرحلة التاريخية التي سبقت الإسلام لا تشمل أكثر من المناطق الساحلية ، حيث المراكز التجارية والموانىء البحرية والمناطق الزراعية ، والبقاع التي تجود بالخير ، وهذا ما يهم الدول التي قامت آنذاك فقد كانت تتحكم فيها الجاهلية ، وتسيطر عليها المادة في مد نفوذها إليها فهي تهتم بالأرض لا بالسكان ، فلتأخذ كل ما تجود به الأرض ، ولترتشف كل ما تسخو به المناطق الداخلية المقفرة التي لا تستفيد منها شيئاً ولا تجلب لها خيراً ولذلك لم تهتم بها ، وبقي سكانها يعيشون متأخرين يرتحلون وراء قطعانهم على شكل قبائل دون أن تفكر دولة من الدول التي سيطرت على المنطقة في رفع مستواهم أو الاهتمام بشأنهم ، أو ملاحظة عقائدهم ومحاولة منع الظلم الذي يلحق ضعفاءهم رغم الفلسفات التي كانت قائمة آنئذٍ والحكمة الشائعة وقتذاك ، فالجاهلية هي الجاهلية في كل زمان لا تهتم إلا بالمادة وما يعود عليها من أرباح ، وهذا ما كنا نراه في الجاهلية الحديثة التي كان يحكم بها الاستعمار فكانت الحكومات الاستعمارية تحاول السيطرة على المواقع الاستراتيجية والمناطق الساحلية فقط تمتص خيرات البلاد كافة ، وتدع الداخل يمدها بأفواج الرقيق

ومنتجات المنطقـــة ويعيش بشكل بائس ، هذا قبل أن يغير الاستعمار استراتيجيته . فما دامت المنطقة الداخلية في ليبيـة صحراوية فلا تهتم بها الدول ولا تفكر بها ، وإذا كان الرومان قد وصلوا في بعض حروبهم إلى « فزان » فذلك من أجل تأديب القبائل التي كانت تغير على سكان المناطق المعمورة في الساحل ، وإظهار قوة الرومان حتى لا تجرؤ قبيلة على الإغارة على المدن الرومانية القائمة على الساحل .

وانتشرت النصرانية في ليبية خلال القرن الثاني الميلادي على يد رهبان قدموا إليها من مصر ، وإن لاقت قبولاً حسناً إلا أن انتشارها كان محدوداً ، وانتشر الرهبان بين البربر ،وكانوا سبيلاً للاتصال بين السكان والرومان ، وسلم الرومان الرجال الذين اعتنقوا النصرانية مناصب كبرى في الدولة ليكونوا لهم عوناً وركزاً ، واستمرت النصرانية في البلاد حتى بعد زوال الحكم الروماني . هذا في الساحل اما في الداخل فلم يتأثر السكان بشيء من النصرانية أو الرومان، وظلوا على بداوتهم لا يعيرهم الحكم أي اهتمام .

الاسلام

جاء الإسلام ليرفع الإنسان إلى المكان الذي وضعه الله فيه بعد أن انخفض إلى مستوى مهين ولا يكاد يبين ، وليخلص الناس من عبودية الشهوة واستعباد المركز والجاه بعد أن استبد بهم ذلك ، وليحرر العقل البشري من الخرافة والوهم بعد أن طغى عليه ذلك ، ولينقذ البشرية مما تعانيه من الفقر والبؤس والظلم وتجبر الطواغيت وطغيان الجبابرة .

وانطلقت مواكب النصر تفتح بلداً بعد آخر ، وتنفتح لها القلوب قبل أن تستسلم لها الحصون ، وتتقبلها النفوس قبل أن تخضع لها القلاع ، وسارت جيوش الإيمان في أرض فارس تسرع الخطو وتجد في السير بقدر ما تحرز من نصر وما تراه من استجابة لها وتقبل للدعوة ، كما فتحت بلاد الشام ، وانحسر ظل الروم عنها .

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فراغه من فتح أرض الشام إلى عمرو بن العاص يأمره أن يسير إلى مصر في جنده ،

تخرج في ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل فدخل مصر ، وتم على يده فتحها ، ثم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأمره في الزحف إلى الإسكندرية ، فأمره بذلك ، فسار إليها ،وفتحها.
ولما انتهى من فتح أرض مصر أراد القضاء على سلطان الروم في المنطقة الواقعة غرب الديار المصرية ، فسار يخترق الصحراء حتى بلغ برقة ، ففتحها ، وصالح أهلها على الجزية .

وجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع إلى جنوب برقة لينقذ البربر مما هم عليه من الجاهلية ، فسار عقبة حتى بلغ زويلة ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين عام ٢١ هـ .

وسار عمرو بن العاص حتى نزل طرابلس ، ففتحها بعد حصار دام شهراً لمناعة حصون المدينة ، ثم كتب إلى الخليفة عمر ابن الخطاب يستأمره في السير نحو إفريقية ، فنهاه ، فعاد إلى مصر بعد أن استخلف عقبة بن نافع على ليبية .

وفي أيام معاوية بن أبي سفيان فتح عقبة بن نافع منطقة فزان وبذا تم فتح المنطقة التي تعرف اليوم باسم ليبية جميعها .

ظن البربر في أول الأمر أن الفتح الإسلامي كغيره من الجيوش التي سبقته يكتفي بالتمركز في المناطق الساحلية الغنية يأخذ خيرها ، ويستفيد من مواردها،بينما يترك المناطق الداخلية لهم يعيشون فيها على النمط الذي يريدونه على شكل قبائل مرتحلة يطبقون الأحكام التي شرعها لهم زعماؤهم والقوانين التي يسير عليها أمراؤهم وفق أهوائهم ومشيئتهم والتي يحققون فيها سيطرتهم ونفوذهم ، وما وصول طلائع الفتح إلى الصحراء ألا

كوصول الذين سبقوهم إظهاراً للقوة وإخافة لسكان البادية الأشداء الذين يغيرون على الحضر كلما أجدبت عليهم الأرض أو انقطع عنهم خير السماء ، ولكن المسلمين ما إن وصلوا إلى هذه المناطق حتى نشروا تعاليمهم – وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين –ونشروا العدل والمساواة وحققوا التكافل ، وأمّنوا الطرق ، ومنعوا الظلم ، ولم يتعود زعماء القبائل هذا ، ففيه حد لمصالحهم وفقدان لزعامتهم،وإذا كان الأفراد والعقلاء قد استبشروا خيراً،ورحبوا بهذه الأفكار إلا أن هـذه المبادىء لم ترق لأمراء البربر الذين فقدوا مصالحهم وأضاعوا نفوذهم ، فعملوا على الثورة ضد المسلمين وتبعهم أولئك الذين استضعفوا واستخف بهم زعماؤهم فأطاعوهم، فالفرد في القبيلة لا ينظر إلى ما هو حق ولا يعرف ما هو واجب وإنما ينظر إلى أنه فرد ضمن قبيلة مصلحتها في طاعة زعيمها ووحدتها في الخضوع لأميرها وهذا منتهى الحق ،وهو الغاية ، وفيه الخير .

وكانت حركة زعيم البربر « كسيلة » الذي دخل في جيش عقبة بن نافع والذي كانت حركته بسبب تكليفه في سلخ شاة تقسيماً للعمل بين القوم ولكنه أنف المساواة فقام في حركته التي كان من نتائجها قتل القائد الإسلامي عقبة بن نافع ، وتراجع زهير بن قيس الذي خلف عقبة إلى منطقة برقة، حتى إذا استعاد القوة أعاد الكرة ، وأثنـاء اندفاعه نحو المغرب انتهز الروم الفرصة ، وأغاروا على برقة وعملوا فيها قتلاً وسلباً . وإذا كان قد قتل « كسيلة » إلا أن البربر قد تجمعوا حول امرأة يقال لها

الكاهنة قامت في بلاد المغرب في جبال أوراس واستمر أمرها خمسة أعوام ثم انتهى بقتلها عندما قوي أمر المسلمين بعد استتباب أمر الخلافة في دمشق والانتهاء من الصراع الداخلي أيام عبد الملك بن مروان ، فاستطاع حسان بن النعمان أن ينهي أمر البربر فحسن إسلامهم ، وأعلنوا الطاعة ، وأخلصوا النية ، وظهر منهم رجال عظام وأبطال إفذاذ ، وقدموا خدمات جلى للاسلام لا يبتغون بها إلا وجه الله وأصبح شمال إفريقية داراً للاسلام ، وبقيت إفريقية تدين لحكم بني أمية في دمشق ، ثم لبني العباس في بغداد مدة عهد القوة .

فتح هارون الرشيد حكم إفريقية لابراهيم بن الأغلب الذي أسس دولة حكمت المنطقة أكثر من قرن ، وكانت تتبع الدولة العباسية اسمياً ولكنها كانت بالفعل مستقلة وقامت بعدها دولة العبيديين التي ادعت النسب العلوي .

لقي الشيعة اضطهاداً كبيراً أيام الأمويين والعباسيين من بعد بسبب مطالبتهم بالحكم وحصره في آل البيت ، وقاموا في سبيل ذلك بثورات عديدة أخفقت كلها ، ولقي قادتها القتل وأنواع العذاب ، فتفرقوا في البلاد ، وتشتتوا في الأمصار ، ونتيجة لهذا الاضطهاد والإخفاق فقد اتخذت الدعوة طريقاً جديدة من السرية بحيث لم يعلن اسم الإمام الذي يدعى له ، وخاصة أن تتابع الأئمة قد توقف بعد اختفاء الإمام الثاني عشر محمد المهدي في كهف ولم يخرج منه ، وكان أتباعه أكثر المجموعات الشيعية المعروفة آنذاك ، وسموا بعدها بالاثني عشرية ، وكانت الدعوة

تقوم باسم آل البيت دون تحديد الإمام الذي بقي مكتوماً .

وفي حالة كهذه يمكن أن يدعي أي شخص توفرت له الظروف وكثر أتباعه أنه الإمام الذي يدعى له ، وأن ينتحل نسباً لنفسه يربطه بآل البيت حتى يستفيد من دعم الشيعة له ما داموا لا يعرفون الإمام الذي يعملون له ، كما يمكن أن يتعاطف معه المسلمون الذين أصبحوا يعطفون على آل البيت لما لاقوا من صنوف العذاب. والنفس البشرية في طبيعتها تعطف على المعذبين، هذا بالإضافة الى حب المسلمين لآل البيت لارتباطهم برسولهم الكريم نسباً . ومن يدّعي أنه الإمام لا يستطيع إنسان آخر أن ينكر ذلك عليه ما دام لا يستطيع إظهار نفسه، فالسيف مصلت ، والعيون مفتحة ترقب بحذر كل تحرك .

كان أنشط فئات الشيعة في الدعوة في تلك الفترة هم الاسماعيليون ، وفي هذا التكتم والحذر ، وفي هذه السرية والمراقبة ظهرت دعوة إسماعيلية في بلاد المغرب قام بها داعية إسماعيلي هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الذي وصل المنطقة مع حجاج قبيلة كتامة ، وأخذ يبث الدعوة الاسماعيلية ، ويذكر المهدي وقرب ظهوره، ولما تمكنت دعوته أسس مدينة أسماها دار الهجرة قرب قسطنطينية في بلاد الجزائر ، وسمى أتباعه المؤمنين ، وتحرك لفتح البلاد ، وظهر المهدي الذي يدعو له في « سجلماسة » في غرب الجزائر ، ثم تسلم الأمر بعد سيطرة أبي عبد الله على المغرب ، ولقب نفسه بالمهدي وعرف باسم عبيد الله المهدي وذلك عام ٢٩٧ هـ — ٩٠٩ م ، وأسس المهدي مدينة

نسبت إليه « المهدية » [1] في موقع حصين واتخذها عاصمة له ، ثم لم يلبث أن وقع الخلاف بينه وبين داعيته أبي عبد الله فقتله عام ٢٩٨هـ ٩١٠ م وأيد العبيديين من القبائل كتامة وصنهاجة بينما حاربتهم زناتة التي هزمت أمامهم ، فأرسل الأمويون في الأندلس إليها الرسل والمساعدات وقامت بالدعوة لهم .

انتقل العبيديون إلى مصر وعرفت دولتهم هناك باسم الفاطمية ، ثم انفصل المغرب عن الدولة الفاطمية عام ٤٤٢هـ – ١٠٥٢م ، بينما بقيت ليبية ومصر تخضعان لها حتى سقطت الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ – ١١٧١ م ، عندما حول صلاح الدين الايوبي وزير العاضد الدعوة للعباسيين عندما مات العاضد آخر ملوك الفاطميين .

ومما يجدر ذكره أنه في أيام الفاطميين انتقلت إلى ليبية قبائل بني هلال وبني سُليم ، وأصل هذه القبائل من الجزيرة العربية ، انتقلت إلى مصر ، واستقرت هناك في الدلتا إثر جدب أصاب الجزيرة ، إلا أن الخليفة الفاطمي العزيز قاتلهم لإفسادهم الأرض ، وأجبرهم على الانكفاء عن الدلتا إلى الصعيد ، فأصبحوا هناك خطراً على الدولة أيضاً ، ولما كانت خلافة المستنصر رغب في التخلص منهم ، فوجههم إلى القيروان عام ٤٤٠هـ – ١٠٥٢ م حيث التمسوا لأنفسهم مراكز جديدة في شمال إفريقية وذلك

---

(١) المهدية: مدينة تقع في تونس على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقي، بين مدينتي سوسة وصفاقس ، شرق مدينة القيروان وبينهما ١٣٥ كم .

حين قطع المغر بن باديس [1] زعيم صنهاجة ، وعامل الفاطميين على المغرب الدعوة لهم ، وخلع طاعتهم ، وحارب شيعتهم في البلاد ، وأعلن الدعوة لبني العباس ، وفكر المستنصر بأن الهلاليين إن انتصروا اصطنعهم عمالاً له على المغرب ، وإن هلكوا تخلص منهم بعد أن يكونوا قد عاثوا الفساد في أرض عدوه مما يضعف أمره . واستقر عدد كبير من الهلاليين والمسلمين في أرض ليبيا .

وضعفت الدولة الصنهاجية في المغرب ، وبدأ النورمانديون في صقلية يغيرون على ثغور المسلمين ، كما أن الخلافة الفاطمية في مصر بدت ضعيفة متفككة ، في هذا الوقت قامت دولة الموحدين في المغرب وسيطرت على المنطقة بأكملها بما في ذلك ليبيا، وكانت الفاطمية قد انتهت ، وقام الأيوبيون بالأمر ، وأغار وزير صلاح الدين الأيوبي شرف الدين قره قوش على طرابلس ، ولكن ليبيا بقيت تخضع لسلطان الموحدين .

قام بنو حفص [2] بحكم المنطقة الشرقية من الدولة الموحدية

---

(١) استمرت الدولة الصنهاجية في المغرب أكثر من قرنين ٣٣٥- ٥٤٣هـ ومن ٩٤٦ - ١١٤٨ م ، وتولى عليها أحد عشر أميراً ويعتبر المغر بن باديس الأمير الخامس وهو الذي قطع صلته بالفاطميين، ولكن أعاد أحفاده من بعده الدعوة لهم أيام يحيى بن تميم بن المغر الأمير السابع وذلك عام ٥٠٢هـ-١١٠٨م.

(٢) للموحدين دولتان : المؤمنية في الغرب والحفصية في المشرق، وينسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر بن يحيى أحد العشرة من أصحاب ابن تومرت مؤسس الحركة الموحدية .

وخضعت ليبيا لهم ، واستمرت سيطرة الحفصيين على ليبية حتى نزلها الاسبان في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، وفي هذه المدة كانت البلاد مسرحـــاً لكثير من الحوادث والاضطرابات وخاصة بعد ضعف الحفصيين ، وانتهز في أحد المرات أهـــل جنوده الايطالية بقيادة « فيليب دوريا » الزيارة الودية التي قاموا بها لطرابلس فهاجموا المدينة غدراً واحتلوها ، ولم يخرجوا منها حتى افتداها أمير قابس (١) بمبلغ كبير من الذهب .

وفي ٢٥ حزيران ١٥١٠م احتلت مدينة طرابلس قوة اسبانية بقيادة بترو نافارو ، وقد قتل الاسبان ٥٠٠٠ رجل ، وأخذوا ٦٠٠٠ أسير وأن من نجا من السكان قد فر من المدينة ، ولم يبق سوى الحامية الاسبانية ، وفي عام ١٥٣٠ م قرر شارل الخامس ملك اسبانيا التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا بمالطة مقابل مساعدتهم للاسبان في الاعمال البحرية ضد العثمانيين ، وقد ظل فرسان مالطة يحكمون طرابلس حتى عام ١٥٥١ م حيث جاء العثمانيون إلى البلاد .

وكان الاسبان والبرتغاليون يريدون إخراج المسلمين من إفريقية أولاً بعد أن أخرجوهم من الأندلس ، وبعدها يريدون القضاء على الإسلام حسب أقوالهم ، وإذا كان البرتغاليون قد التفوا حول إفريقية ، وخرجوا على المسلمين من الجنوب يهددون ديارهم ، ويقطعون عليهم الطرق ، ويفتكون بكل ما يجدونه

(١) قابس مدينة تقع في جنوب الساحل التونسي الشرقي .

في طريقهم ، فإن الاسبان قد لاحقوا المسلمين على سواحل المتوسط ، واحتلوا بعض الثغور ، وعاثوا في الأرض الفساد ، كما أنهم قد وصلوا إلى الشرق نتيجة الاكتشافات الجغرافية ، وأعلنوا حربهم الصليبية صراحة . كل هذا كان في سبيل تطويق المسلمين من كل الجهات ومحاولة إبادتهم .

كانت الدولة العثمانية التي قامت في تركيا قد اشتد ساعدها وقوي أمرها ، وانتقلت إلى القارة الأوربية تفتح البلدان ، وتزيل الدول . ولما وصل نبأ البرتغاليين إليها وما ينوون القيام به من تهديم للأماكن المقدسة الإسلامية وأخذ بيت المقدس ، وكانت في أوج قوتها ، نقلت المعارك الى جهة الشرق ، وقضت على كل حركة يمكن أن يستند إليهـا الصليبيون ، وبعد دحر الصفويين عام ١٥١٤ م ، اتجهت نحو بلاد الشام ومصر والحجاز التي كانت تحت حكم دولة المماليك والتي كانت هدف البرتغاليين بالدرجة الأولى ، ولما لم يستطع المماليك دحر البرتغاليين والوقوف في وجههم كما لم يقبلوا دخول قوات عثمانية إلى بلادهم تدعمهم ، ولم يرغبوا في ترك الحكم إلى غيرهم ، اضطر العثمانيون للقضاء عليهم ، وتسلـّم زمام الأمر والوقوف في وجه البرتغاليين .

كانت برقـــة آنذاك تخضع للمماليك وبانتهاء أمرهم وتسلـّم العثمانيين السلطة فقد دانت لهم ، أما طرابلس فقـــد كانت كما ألمحنا تحت سيطرة فرسان القديس يوحنا وخاصة أنه كان هناك صراعاً بحرياً بين قوات المسلمين بزعامة العثمانيين وقوات المسيحيين بزعامة الاسبان ، وقد لبت الدولة العثمانية الطلب ـ حيث من واجبها

مساعدة المسلمين — وأرسلت أسطولاً بقيادة سنان ونجحت الدولة العثمانية في الاستيلاء على طرابلس عام ١٥٥١م وعين مراد آغا أول والٍ عثماني على البلاد ومن آثاره مسجده الموجود حالياً في مدينة تاجوراء ، واستمر الحكم العثماني حتى عام ١٧١١م حيث حكمت ليبيا أسرة القره مانلي .

ضعف الحكم العثماني . فاستقل الولاة في مناطقهم ، وكان منهم أحمد القره مانلي الذي أسس أسرة حكمت ليبيا عام ١٨٣٥م ، حيث عاد العثمانيون يحكمون المنطقة حكماً مباشراً وكانت آنذاك في مرحلة كبيرة من الضعف والتأخر والاضطراب والجمود واستمر ذلك حتى عام ١٩١١م.

الجاهلية الثانية

عاش سكان ليبية حياة إسلامية منذ أن اعتنقوا الإسلام وحسنت عقيدتهم ، وقد أثرت هذه الحياة بمزاياها في نفوسهم تأثيراً عميقاً ، وانطلقوا يجاهدون في سبيل الله ويسعون لنشر المد الإسلامي في كل بقاع افريقية ولكن هذا لم يطل كثيراً فقد بدأت الأحداث تتابع على البلاد ، من ثورات الخوارج وسيطرة الأغلبية ونفوذ الفاطميين ، وتنازع الأسر على الحكم ، وهذا ما كان له أثره الواضح في حياة المدن وسياسة الحكم والمال بالنسبة للأمراء وطلاب الحكم والجاه ، إلا أن الناس في الريف والصحراء قد بقوا يعيشون على تقاليدهم الموروثة وعاداتهم المتبعة بعيدين عن كل ما يجري في المراكز الكبرى ، حيث لم يصل هذا كله إلى المناطق البعيدة والمراكز النائية والواحات ، وظل الناس يعيشون وفق مفهوم الإسلام ، ويكيفون به حياتهم ، ويعملون في عالم الواقع على نشر المد الإسلامي في بقاع الأرض شاعرين بالعزة التي قررها الله لذاته — سبحانه — ولرسوله وللمؤمنين ، شاعرين بالاستعلاء الذي يصنعه الإيمان في نفوس المؤمنين ، شاعرين

بالتبعة الكبرى التي يفرضها الإيمان عليهم في ذوات أنفسهم وفي مجتمعهم ، شاعرين بالاخاء الحقيقي الذي يجمع المؤمنين بعضهم إلى بعض ، شاعرين بالمودة والتعاون، شاعرين أنهم من أمة واحدة هي الأمة الإسلامية .

وصلت الفوضى إلى صحراء ليبيا وريفها بعد أن حلت قبائل بني هلال وقبائل بني سُليم فيها ، تحرق الأرض ، وتقطع الزرع، وتدب الذعر في نفوس الآمنين . وفضل بعض النـاس العزلة ، مقتصرين على ما يقومون به فى حياتهم الخاصة ، فلم يكن — على زعمهم — عدو خارجي يقاتلونه ، ولا خصم عنيد يقفون في وجهه ، ولكن رجال منهم ينسبون للاسلام، ويعيشون في الأرض الفساد ، وهذا ما يحز في النفس ، فلا قتالهم جهاد كالجهاد ضد الكافرين ، ولا ينال المسلم احدى الحسنيين بالنصر عليهم، هكذا كان التفكير الذي ابتعد من خطه عن أصوله الإسلامية حيث يعطي الإسلام قتالهم صفة الجهاد، والموت في حربهم استشهاد ما داموا يقفون في وجه تطبيق حكم الله ، ولا ينفذون أمر الله ، ويعيشون في الأرض فساداً « إنما جزاء الذين يقاتلون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم »[١] . ومن هنا بدأت زاوية الانحراف تنفرج فإن قتال الذين يقفون في وجه تطبيق الإسلام،

(١) المائدة ٣٣

ويحولون دون تنفيذ أمر الله، أجدر من قتال الكافرين البعيدين ، حيث لا يمكن قتال الأعداء الذين يتربصون بنـا الدوائر إلا بالاستعلاء التام من توحيد الجهود ورفع للمعنويات، ولا يتم هذا إلا بتطبيق منهج الله في الأرض، حتى يقاتل المسلم تحت راية إسلامية، وحتى يشعر في قتاله أنه سينال إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله وهذا سبب الإقدام والتضحية ، وهـذا سبب الانتصار الدائم الذي أحرزه المسلمون الأوائـل ، وهذا سبب الفتوحات الكبرى التي لم تتم بكثرة العدد ولا بتفوق السلاح وإنما كان هذا في صالح العدو في كل المعارك تقريباً ، وإنما تمت بالإيمان الصحيح الذي ينبع من العقيدة السليمة .

وجاء الموحدون ، وظن الناس خيراً ، واعتقدوا أنهم قد انتهوا من عهد الفوضى، وخاصة بعد أن سمعوا عن دور الموحدين في الأندلس ، ووقوفهم في وجه الصليبية هناك، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ولكن هذه الدعوة لم تلبث أن تلاشت ، وضعف حكام بني حفص ، وانقض بعض الأمراء على بعض ، وانبرى واحدهم ينازل الآخر ، حتى خاب الأمل في الإصلاح ، وضعف الرجاء في الإنقاذ ، وإذا كان الفساد قد دب في الأسر الحاكمة إلا أنه بدأ ينتقـل إلى الشعب من باب تقليد الحاكم ومجاراته ، وسرى من المدينة إلى الريف ، وهذا مـا أطمع الصليبيين في البلاد ، فأغاروا عليها ، وانتزعوا منهـا الثغور ، وفتكوا بالناس ما شاء لهم هواهم ، وما دفعهم إليه حقدهم على الإسلام ، وعمت الفوضى واقترب الناس من اليأس .

وصلت أنباء الفتوحات العثمانية في أوربا ، وتحرق الناس للجهاد للتخلص من وضعهم الذي آلوا إليه ، فطلبوا من العثمانيين العون ، ومد يد المساعدة أملاً في إنقاذهم من الصليبيين الذين يحكمون طرابلس . وجاء العثمانيون ، وكانوا في حالة من القوة تمكنهم من السيطرة وبسط النفوذ وقتال الأعداء ، ولكن لم يلبث هذا طويلاً حتى ضعفت الروح العسكرية السابقة ، وجمد العثمانيون جموداً معيباً في ميادين الفكر والحكم والفقه والقانون ، وتوقف النمو ، وتجمد الوضع على صورته الباهتة وشكله المزري . وبدأ الاضمحلال والضمور ، وكاد يسيطر على الناس القنوط .

ظهرت أفكار جديدة في المجتمع ، وانتشرت فلسفات خاصة ، وكلها دخيلة لا تمت إلى الفكر الإسلامي بصلة ، فقد فضل بعض الناس الابتعاد عن الحياة العامة والعزلة عن المجتمع ، مكتفين من الدين بتأدية العبادات وإقامة الشعائر ، وبهذا ينقلب الدين إلى مجرد طقوس لا معنى لها ولا قيمة ، لأنها فقدت جوهرها ، وابتعدت عن حقيقتها. كما أن بعض الناس قد انصرفوا إلى أعمالهم الدنيوية من تجارة وزراعة يزاولونها بشكل مستمر ، ويضيعون فيها كل أوقاتهم بحيث لا يبقى فراغ من وقت لأي عمل أخروي ، حتى طغت على أكثرهم الحياة المادية ، وضاعوا في خضمها ، وبدأت المبررات تنطلق من الألسن بعدم وجود الوقت في العمل لله ، والقيام مع الحق ومع هذا فإن هناك من دفعته هذه الحال الى العمل لله فاتخذ التجارة وسيلة لنشر الإسلام في داخل إفريقية ، والمناطق التي يصل إليها ، فعدد هؤلاء قليل ، ولكن أثرهم كان كبيراً

لذلك لا يمكن إغفالهم حيث أصبح من ميزات تلك الفترة انتشار الإسلام في قلب إفريقية بواسطة التجار .

هذا ويمكن أن نضيف حالة الضعف البشري ، حيث يخشى الناس من ضعاف الإيمان الحكام الذين يحولون دون تطبيق الإسلام تارة بالمراوغة وتارة أخرى بالتخطيط لذلك ، لأن الإسلام يحد من سيطرتهم ، ويقف في وجه شهواتهم ومصالحهم .

أمام هذا الوضع المهلهل لا بد من قيام حركة إصلاحية من الداخل وهذا ما قامت به السنوسية ، كما لا بد من تحرك الصليبية التي يغريها هذا الضعف والتمزق فتطمع في الانقضاض على المسلمين يدفعها إلى ذلك حقدها الكبير ، وهذا ما قامت به تحت ثوب جديد عرف باسم الاستعمار وهذا ما وقع عن طريق الاستعمار الايطالي .

السنوسية

السنوسية حركة دينية ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وكان ما يدعو إلى قيامها الوضع الذى آلت إليه حالة المسلمين من ضعف وتفكك وبعدٍ عن مفهوم الدين ، فقد سيطرت الحيـــاة المادية ، وطغت على معظم النواحي ، وسار الناس وراء مصالحهم ، وأهملت العبادات والفرائض ، ودخلت المجتمع فلسفات غريبة تقول بأن للعبادات غايات مقصودة من وراء تأديتها ، وليست هي بحد ذاتها الغاية ، فما دامت تحصل الغاية من غير تأدية العبادات ، فلا حاجة لتأديتها ، كما ساد الوهم والخرافة ، واعتزل بعض الناس في صوامعهم ، وظهرت أفكار غريبة عن الفكر الإسلامي بهذه العزلة ، وابتعد المجتمع عن تقويم الحاكم والنصح له ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وصار الرضا بكل ما يشرع لهم الأمير ، والقبول بأي سلطان مهما كانت عقيدته ، صفة من صفات المجتمع .

وتنتسب الدعوة السنوسية إلى مؤسسها السيد محمد علي السنوسي

الذي قدم من الجزائر إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج عام ١٨٣٧ ، وهنـــاك تأثر بالدعوة الوهابية التى كانت في فترة من الضعف والانكماش بعد القضاء عليها عام ١٨١٨ على يد ابراهيم بن محمد علي والي مصر . وأسس السنوسي زاوية في الحجاز في أبي قيس ، ثم اتبعها بعدة زوايا ثانية ، وعندما أراد دخول الجزائر أثناء العودة عام ١٨٤٠ منعه الفرنسيون من دخولهـا ، وكان موقفهم قد بدأ يتحسن في حربهم ضد الأمير عبدالقادر الجزائري ، فأقام السنوسي في ليبية ، واستقر في واحة جغبوب ، وأسس هناك زاوية له كانت المركز الرئيسي للدعوة حيث انتقلت منها إلى باقي المنطقة وخاصة في الصحراء حيث أقيمت عدة زوايا كان أشهرها ما أقيم في الكفرة ، وكان يختار مواقع الزوايا في الاماكن الحصينة وعلى طرق القوافل لإمكانية الدفاع عنها واستقبـــال الضيوف من رجال القوافل في وقت واحد .

وكانت الزاوية تضم عدة أبنية منها المدرسة ، ومنها المسجد ، ومنها بيت الشيخ ، ومنها المضافة التي يستقبل فيها الضيوف ، وفيها يتم عرض مبادىء الدعوة للأنصار الجدد . وحول الزاوية أرض يعمل فيها السنوسيون بالزراعة ، كما يعملون بالتجارة ، وينتقلون بين واحات الصحراء يحملون بضائعهم ، وينقلون أفكارهم ، حتى انتشرت الفكرة في قسم كبـــير من الصحراء الكبرى . هذا العمل الدائب مطلوب من الأتباع حتى لا يسود التواكل ، ويقصرون في تحصيل الرزق ، وبالتالي يتأخرون عن الركب في بقية المجتمعات .

وكانت السنوسية تحارب البدع والخرافات ، وتدعو إلى العقيدة السليمة التي تستند إلى الكتاب والسنة ، وتربي أبناءها تربية تعتمد على القوة لإمكان مقارعة الخصم ، والوقوف في وجه الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله ، وإمكانية إعلان الجهاد عندما يدعو الداعي له .

وقد استفادت السنوسية من تجربة الوهابية فلم تعمل على محاربة الدولة العثمانية التي كانت لها السلطة الاسمية على المنطقة قبل انتشار الفكرة بشكل واسع ، وتأمين قاعدة شعبية تستند عليها عند المعركة. كما استفادت من وضع العثمانيين في نشر الفكرة، فقد كانت الدولة العثمانية في حالة من الضعف والتأخر بحيث لا تستطيع العمل ضد السنوسية بشكل قوي كما فعلت مع الوهابيين. كما أن سيطرة العثمانيين على الصحراء كانت ضعيفة جداً لبعدها وجفافها واتساعها وقلة القلاع العثمانية فيها ، إضافة إلى الضعف الذي تعانيه الدولة في ليبية خاصة وفي المجال الدولي عامة .

وهكذا كانت الظروف المحلية والعامة مواتية للسنوسية ، فبقيت في توسع وانتشار حتى جاء الاستعمار الايطالي إلى البلاد.

الاستعمار

كانت الموجة الصليبية على أشدها في العصر الحديث ، واتخذت شكلاً جديداً في الحرب هو الاستعمار ، فقد كان العالم الإسلامي كله في منتصف القرن التاسع عشر يتحد تقريباً تحت علم واحد ، هو خلافة آل عثمان ، في ذلك الوقت كانت الدولة العثمانية جداراً يريد أن ينقض ، ولا يمنعه من الانقضاض إلا بقايا من عوامل البقاء كانت تقاوم ذلك الفناء .

وكان مما أغرى الدول الأجنبية بالدولة العثمانية فوق ما هي عليه من ضعف وانحلال الحقد على الإسلام ، ودخول العثمانيين أوربا وفتحهم جزءاً واسعاً منها ، إضافة إلى أنها كانت تضم خير بقاع العالم ثروة وموقعاً مما يسيل له لعاب الذئاب المتربصة وخاصة بعد معرفة البترول وثبوت الدلائل التي تشير إلى وجوده في أرضها .

وكانت الدول الاجنبية تتفق مع بعضها عندما تريد اقتطاع جزء من الدولة العثمانية خاصة ومن بقية العالم عامة ، وقد كانت

إيطاليا تريد الحصول على منطقة تونس نظراً لموقعها من أرضها إلا أن فرنسا قد سبقتها إليهـا ، واتفقت على ذلك مع الدول الكبرى ، لذا التفتت إيطاليا نحو ليبيا وبدأت تعد العدة لذلك. فقد هاجر بعض رعاياها إليها . وأنشأ مصرف روما فرعـاً له في طرابلس وبرقة عام ١٩٠٥ م، وبدأ يقدم القروض، ويستثمر الأموال ، كما أنشأت إيطاليا في بنغازي مكتباً للبريد كان الطليان يرسلون به ما يريدون من رسائل وتقارير بغير رقابة ، كما كانت لهم سفينة تحمل البريد العثماني ، وأنشأت إيطاليا بعض المدارس لنشر اللغة الايطالية وبث الثقافة الايطاليـة ، كما بنت بعض المستشفيات ، وأهم من ذلك كلـه أن ايطاليا أخذت ترسل البعثات المختلفة عن طريق الجمعية الايطالية للكشوف الجغرافية والتجارة بميلانو « كان آخرها بعثة للتفتيش عن الفوسفات إضافة إلى عمليات مسح الأرض التي تمت ، وانضم إليها ضباط من أركان حرب الطليان، استطاع أعضاؤها أن يضعوا المخططات والخرائط الحربيـة . وكان البنك الايطالي يحجز على الأرض عندما لا يستطيع المدين أن يقدم ما عليه من ديون وفوائد متراكمة ، ثم يقدم هذه الأرض للرعايا الايطاليين ، وبهذا حصل الطليان على جزء غير قليل من الأراضي الليبية الخصبة الصالحة للزراعة .

وكانت إيطالية قد حصلت عام ١٩٠٤ م على وعد من فرنسا بإطلاق يدها في طرابلس ، إذا تغاضت ايطالية عن إطلاق يد فرنسا في المغرب ، وكادت ايطالية تحتل طرابلس عام ١٩٠٨م لولا أن أرسلت الدولة العثمانية إلى ليبية جيشاً قوياً لتقوية حاميتها

هناك ، فانصرفت ايطالية إلى حين .

وعجل احتلال فرنسا للمغرب عام ١٩١١م إلى إقدام ايطالية على عملها باقتحام ليبية ، فاتصلت ايطالية بالدول العظمى لتحقيق احتلال طرابلس، وحصلت على موافقة بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا ، ووافقت النمسا بشرط ألا تتعدى العمليـات الحربية منطقة شمال إفريقية ، وألا تسري إلى ممتلكات تركيا (١) في آسيا وأوربا وخاصة البلقان .

وفي ٢٧ أيلول عام ١٩١١ أرسلت ايطالية إنذارها الشهير فجأة إلى الباب العالي ، وتشير فيه إلى : سوء النظام في طرابلس الغرب وبنغازي ، ومصالحها العسكرية ، وتهديد طرابلس لهـا لقربها من إيطالية ، وتجاهل الدولة رغائب ايطالية في طرابلس، وإهمالها مصالح إيطالية الاقتصادية ، والتحريض على الرعايا (٢) الأوربيين أو الطليان خاصة واضطهادهم، وقرار ايطاليا باحتلال طرابلس ، وعلى الدولة أن تسهل ذلك . وكانت مـدة الإنذار /٢٤/ ساعة .

وبادرت تركيا إلى إرسال برقيات باسم السلطان للدول الأوربية ، يطلب إليها التوسط بين تركيا وايطالية ، على أن

(١) تركيا : بعد سيطرة الاتحاديين على الدولة العثمانية أصبحت تحمل اسم تركيا حيث بدأت الدعوة إلى القومية التركية (الطورانية)، وإن بقي السلطان رمزاً لا يستطيع عمل شيء ، وفرق كبير بين تركيا والدولة العثمانية .

(٢) حجة يتخذها الأوربيون عندما يريدون غزو جزء من أرض المسلمين. ويعتبرون أنفسهم حماة المسيحيين في المنطقة الاسلامية، وحسب اتفاقيات سابقة كان المسيحيون يعتبرون من رعايا الدول الأجنبية .

تحقن الدماء ، ويعطي لإيطالية مركزاً ممتازاً في ليبية ، ولكن الدول الأوربية اعتذرت عن الوساطة [١] .

وبدأ الغزو الايطالي بقصف مدينة درنه يوم ٣٠ أيلول ١٩١١م ، ومدينة طرابلس يوم ٣ تشرين الأول ، وخلال هذا الشهر احتل الطليان طرابلس وبنغازي ودرنة ، وكان لتركيا في طرابلس حامية تقدر بخمسة آلاف رجل ، وألفين في برقة ، ولكنها كانت ضعيفة وناقصة السلاح والعتاد .

وكانت الحملة الايطالية تتألف من ٣٤٠,٠٠٠ رجل ، و ٦٣٠٠ حصان و ١٠٥٠ عجلة ، و ٤٨ مدفع ميدان صحراوي و ٢٤ مدفع جبلي ، وكان طريق البحر مفتوحاً لنقل الاحتياطي والعتاد والسلاح والمؤن عند الحاجة .

وقف الليبيون في وجه الغزو الايطالي موقف الأبطال فقد استنفرت القبائل العربية للجهاد ، والتحقت بالقوات التركية ، وخضعت لقيادتها ، وقام الشيخ أحمد العيساوي ممثل السنوسية في برقة ووكيل زاويتها بإرسال الكتب إلى شيوخ الزوايا القريبة يطلب منهم دعوة المجاهدين إلى القتال .

ومن جهة ثانية أرسلت الدولة التركية عدداً من الضباط كان على رأسهم أنور باشا وعزيز المصري ومصطفى كمال [٢] ، وجعلت

(١) كانت الدول الأجنبية موافقة على هذا الاحتلال بل وشريكة فيه .

(٢) مصطفى كمال : هو كمال أتاتورك ، أول رئيس لجمهورية تركيا ، وقد قام بإلغاء الخلافة ، واستبدل بالأحرف العربية الأحرف اللاتينية .

القيادة العامة لأنور باشا ، وقسمت الجبهة إلى ثلاث مناطق : الأولى في بنغازي بقيادة عزيز المصري ، والثانية في درنة بقيادة مصطفى كمال ، والثالثة في طبرق بقيادة ناظم بك . على أن المتطوعين كانوا عماد القوة الحقيقية ، وقد عمل أنور باشا [١] منذ وصوله على أن يطوف على القبائل ويزور الزوايا السنوسية ، ويدعو الجميع إلى الجهاد ، واتصل بالسيد أحمد الشريف [٢] بالكفرة ورجاه أن يرسل منشوراً إلى أتباعه ليحاربوا أعداء دينهم [٣] .

وابتدأ القتال وصمد الليبيون واستمرت المعارك من ٣ تشرين الأول ١٩١١م حتى ١٨ تشرين الاول ١٩١٨م حيث اضطر الأتراك الى توقيع معاهدة (أوشي) [٤] مع الطليان ، وبمقتضاها تعهدت الدولتان بإيقاف الحرب ، وتعهد الترك باستقدام ضباطهم وجيوشهم وموظفيهم المدنيين من ليبيا . وقد اضطرت تركيا إلى توقيع هذه المعاهدة حيث أرسلت ايطالية أسطولاً ضرب بيروت ، كما هددت باحتلال جزر الديدوكانيز على سواحل تركيا الغربية ، وأرسلت أسطولاً ضرب هذه الجزر ، وهدد استانبول.

(١) أنور باشا : أصبح فيما بعد من أشهر رجال تركيا ، وقد استلم وزارة الخارجية ، وكان له دور كبير في ثورة تركستان ، وقد استشهد وهو يقاتل ضد المستعمرين في بخارى عام ١٩٢٢ .

(٢) أحمد الشريف : زعيم السنوسيين توفي في المدينة المنورة ١٩٣٣م .

(٣) لا يلجأ الحكام إلى الدين إلا وقت حاجتهم ، فهو القوة الأساسية في المعارك .

(٤) أوشي : بلدة قرب مدينة لوزان بسويسرة .

وعندما وصلت أنباء المعاهدة إلى السيد أحمد الشريف أرسل خطاباً إلى أنور باشا قال فيه : « نحن والصلح على طرفي نقيض ، ولا نقبل صلحاً بوجه من الوجوه ، إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد إلى العدو » .

وقد زار أنور باشا أحمد الشريف في جغبوب حين استدعته حكومته ، وأخبره بأنه ترك القيادة بعده لعزيز المصري [1] ، وأبلغه أوامر السلطان وهي: إسناد أمر ليبية إلى أحمد الشريف، وأنها أصبحت مستقلة ، ولها الحق في أن تدافع عن نفسها. وهذا ما جعل السنوسية هي صاحبة الكلمة الأولى في ليبية فيما بعد ، وبيدها مقاليد الآمر .

واستمر الجهاد في المنطقة وبعد قتال مرير قبل المجاهدون في طرابلس بعرض ايطالية بإصدار عفو عام عنهم ، ووقف القتال ، ولكن قسماً منهم قد رفض هذا ، وانتقل إلى ولاية فزان يتابع

---

(١) عزيز المصري : ضابط عربي تلقى تعليمه العسكري في الجيش العثماني، واشترك في تأسيس الجمعيات السرية العربية قبل الحرب الأولى، وكون جمعية مع عدد من الضباط ، وقبض عليه وطرد من تركيا ، واشترك في الثورة العربية في بدايتها عام ١٩١٦ ، ثم تركها عندما ظهر تعاونها مع الانكليز الذين يكرههم كراهية كبيرة وسافر إلى ألمانيا بعد الحرب الأولى ، وعاد إلى مصر ، وزار سورية والعراق وإيران ، وعين ١٩٣٥ مرافقاً لولي عهد فاروق ثم أبعد ، وعين رئيساً لأركان حرب الجيش المصري عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ثم أزيح عن ذلك المنصب لاتهامه بحب ألمانيا ، كما اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ، وتوفي عام ١٩٦٥ .

الجهاد هناك .

أما في برقة فقد استمر القتال بقيادة عزيز المصري وإشراف أحمد الشريف السنوسي ، ووقعت أعنف المعارك قرب الساحل ولعل أشهرها معركة (يوم الجمعة) في ١٦ أيار ١٩١٣ التي اشترك فيها أحمد الشريف السنوسي بنفسه ، وهزم الطليان وارتدوا الى مدينة درنة ، وفشلوا في احتلال الجبل الأخضر حسبما كان مقرراً لهم . وضغطت ايطاليا على تركيا ومصر لسحب قواتها من ليبية ، وسافر عزيز المصري الى الاسكندرية، ومنها إلى استانبول آخذاً معه أسلحته بعد أن حاول عمر المختار ألذي أرسله أحمد الشريف السنوسي لاستلامها ولو كرهاً. وبقي المجاهدون وحدهم في الميدان ، فالتقوا مع الطليان في عدة معارك انتهت باحتلال ايطالية للمنطقة حيث وصلت في ٣ آذار ١٩١٤م إلى فزان، واحتلت مرزوق، وابتدأت حرب العصابات، حيث استطاع المجاهدون إجبار الايطاليين على إخلاء فزان وحصرهم في الساحل .

قامت الحرب العالمية الاولى ، ودخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا بينما كانت ايطالية بجانب الحلفاء فرغبت تركيا في مساعدة الليبيين ضد الطليان والاستفادة منهم ضد الانكليز في مصر والفرنسيين في تونس ، فأرسلت إليهم نوري بك [1]

---

(١) نوري بك : أخو أنور باشا ،

وجعفر العسكري [١] وعبد الرحمن عزام [٢] فعرضا ذلك على السنوسيين فلم يجد السيد أحمد الشريف بداً من ذلك ، وقامت بعض العمليات أبدت خلالها القوات العربية ضروباً من الشجاعة ، وحصلت على انتصارات باهرة بقيادة صفي الدين الشريف السنوسي شقيق أحمد الشريف ، ولكن الحرب العالمية الاولى لم تلبث أن انتهت ، وخرجت تركيا مهزومة من الحرب ، وعادت فتركت الليبيين وحدهم في الميدان.

منذ بدأت تظهر الهزائم على الجيوش التركية والألمانية بادر عبد الرحمن عزام إلى جمع زعماء القبائل والأعيان لحشد جهودهم في سبيل إنشاء حكومة وطنية ، وقد اقترح بعض زعماء القبائل أن يكون الأمير عثمان فؤاد بن سلطان تركيا رئيساً لها ، ولكنه اعتذر ،وكان قد جاء مع القائد عبدالرحمن نافذ للاشتراك في القتال ، ثم انتخبوا مجلساً جمهورياً مؤلفاً من خمسة أعضاء ، ومجلساً للشورى يتألف من عشرين عضواً ، وانتخبوا عبدالرحمن عزام مستشاراً لهذه الجمهورية التي استمرت خمس سنوات وكان مركزها مدينة مسلاته .

---

(١) جعفر العسكري : أصبح فيما بعد رئيساً لمجلس وزراء العراق ، وقتل عام ١٩٣٥ إثر محاولة انقلاب .

(٢) عبد الرحمن عزام : عين مستشاراً للقيادات الافريقية التركية بعد أن عززت تركيا قواتها في ليبيا عقب إعلان الحرب العالمية الأولى ، وقد أصبح بعد أميناً لجامعة الدول العربية .

وفي عام ١٩٢٠ عقد مؤتمر غريان وقد ضم ممثلين عن كل البلاد عدا البربر ، واتفقوا فيه على توحيد الجهاد،وفي عام ١٩٢٢ عقد مؤتمر في « سرت » حضره ممثلون عن السنوسية وعن منطقة طرابلس ، وتمت فيه البيعة بإمارة السيد محمد ادريس السنوسي، وابتدأ القتال ، وحشد الطليان جيوشاً ضخمه لم يستطع المجاهدون مقاومتها . فاحتل الايطاليون منطقة طرابلس في أواخر أيلول ١٩٢٣م وقضوا على الجمهورية الليبية الأولى .

أما في برقة فقد ولي محمد ادريس السنوسي القيادة العامة للمجاهد عمر المختار [١] . وكان مركز قيادة عمر المختار في الجبل الأخضر في مدينة « شحات » وقد انتصر على الطليان في عدة معارك ، مما جعلهم يفكرون في الاستيلاء على المناطق المحيطة بالجبل الأخضر ولكنهم هزموا شر هزيمة في محاولتهم للسيطرة على فزان . وأخيراً استطاع الايطاليون من السيطرة على المناطق المحيطة بالجبل الأخضر ، وكان موسوليني قد استلم الحكم في ايطالية ، فعين اللواء « بادوليو » حاكماً على ليبية ، ففاوض بادوليو هذا عمر المختار ليعرف معنوياته فعرض عمر المختار شروطه التي كان منها : ألا تتدخل الحكومة الايطالية في أمور ديننا، وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترفاً بها في دواوين

---

(١) عمر المختار : كان شيخ زاوية (القصور) السنوسية ، والقصور مدينة في الجبل الأخضر، وكان عمر المختار أول من هرع بجيش لنجدة الأتراك بعد أن نزل الطليان في برقة .

الحكومة الايطالية ، وأن تفتح مدارس خاصة يدرس فيهـــا التوحيد والتفسير والفقه وسائر العلوم، وأن تفتح المدارس لتعليم اللغة العربية ، وأن يلغى القانون الذى وضعته ايطالية (١) .

وفي عام ١٩٣٠م عين غرازياني نائباً للوالي في برقة ، فاتخذ أبشع الأساليب للقضاء على المقاومة حيث زج العلماء وزعمـــاء السنوسية في السجون حتى أفنوا بالجوع والعطش جميعاً، وصودرت الأملاك لأقل شبهة ، وأخيراً سقطت الكفرة آخر معاقـــل السنوسيين في كانون الثاني ١٩٣١ . واستمر عمر المختار في حرب العصابات، وأخيراً وقع في الأسر، وحوكم محاكمة صورية، وأعدم في ١٥ أيلول ١٩٣١ م الموافق ٢٩ ربيع الآخر ١٣٥٠ هـ ودفن سراً ، وأخفيت معالم القبر (٢) .

أما محمد ادريس السنوسي فقد انتقل إلى مصراً بعيداً عن وطنه ، وتابع الطليان أعمالهم الوحشية التي يندى لها الجبين من سبي للنساء وذبح بالجملة ، وصلب النساء وهن عاريات، وقتـــل الرجال صبراً أمام ذويهم ، وانتهاك حرمات المساجد ، وتمزيق ودوس المصاحف الشريفة بالأقدام، وقد تكرر هذا عدة مرات، وهوجم كتاب الله على أنه سبب كل جهل عند المسلمين وانه

---

(١) يظهر عمق تفكير عمر المختار بتركيزه على القـــانون الذي يعتبر النقطة الأساسية في الموضوع فشتان بين أن يكون موضوعاً ومستمداً من قانون أجنبي جاهلي وبين ان يكون مستمداً من الشريعة الاسلامية .

(٢) يوجد مزار في بنغازي ، ويقال انه قبر الشهيد عمر المختار .

لا يمكنهم المدنية ما دام بين أيديهم ، وكان عدد من قتل بأيدي الطليان من سكان طرابلس وبرقة « ٥٧٠٩٢٨ » نسمة .

واستمرت هذه الحالة حتى عام ١٩٣٩ حيث قامت الحرب العالمية الثانيـــة ، وكانت ايطالية إحدى دول المحور الثلاث ، وخرجت ايطالية من شمال إفريقية عام ١٩٤٣ مهزومة ، وتركت ليبية بعد ان احتلت انكلترا طرابلس وبرقة ،وأقامت فيهما إدارة عسكرية ، واحتلت فرنسا منطقة فزان ، وحكمتها أيضاً حكماً عسكرياً ، وعاد المهاجرون الليبيون إلى بلادهم .

ابتدأ النضال السياسي وعرضت القضية على الأمم المتحدة ، واستمر هذا العرض عدة سنوات، وفي ٢٤ كانون الأول ١٩٥١م تم إعلان ليبية دولة مستقلة ذات سيادة تحت ملكية السيد محمد ادريس السنوسي باسم المملكة الليبية المتحدة .

الاستقلال

منذ أن دخلت ايطالية الحرب العالمية الثانية بجانب المانيا دعــا محمد ادريس السنوسي الموجود في مصر إلى عقد اجتماع في القاهرة يوم ٩ آب ١٩٤٠ ، وتم الاتفاق فيه على اشتراك الليبيين مع الحلفاء في سبيل تحرير بلادهم من حكم الطليان ، وقد تم هذا فعلاً إذ ألّف الليبيون جيشاً قوامه ١٤ ألف مقاتل اشترك إلى جانب الحلفاء في المعارك التي دارت رحاها في الصحراء الغربية المصرية ، وبعد الانتصار الذي أحرزه مونتغمري في موقعــة العلمين ضد الألمان ، تابع الحلفــاء زحفهم نحو ليبيا حيث تم تحريرها ، ودخلوا طرابلس في كانون الثاني ١٩٤٣ . وقد أبدى الليبيون في هذه الحرب الكثير من فنون الشجاعــة باعتراف الحلفاء ، وهذا ما جعلهم أهلاً لنيل الحرية والاستقلال.

وبعد عرض القضيــة على الأمم المتحدة ومناقشات طويلة نالت ليبية استقلالها في ٢٤ كانون الأول ١٩٥١ م ، على شكل مملكة متحدة تضم برقة وطرابلس وفزان.(ونودي بملكية محمد

ادريس السنوسي الذي كان له دور رئيسي في تحرير البلاد ، كما كان للحركة السنوسية دور بارز في الجهــاد ضد الايطاليين ثم اخراجهم من ليبية) .

وتقدمت ليبية بطلب للانضمام إلى جامعة الدول العربيــة فحصلت على الموافقة بالاجماع من مجلس الجامعة في الجلسة التي عقدت بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٥٣ م .

ثم تقدمت بطلب للانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة ، فقبلت عضواً في الهيئة بتاريخ ١٥ كانون الأول ١٩٥٥ في نفس اليوم الذي قبلت فيه ايطالية التي كانت تستعمرها .

ورغم هذا فإن الاستقلال لم يكن كاملاً ،فقد عقدت بريطانيا مع ليبية عام ١٩٥٣ معاهدة تحالف يسمح بمقتضاها لقوات من الجيش البريطاني بأن تعسكر في بعض المناطق مقابل أن تتلقى ليبية مساعدة مالية من بريطانيا كانت تقدر بأربعة ملايين جنيه وربع المليون ، وينظر في أمر هذه المعاهدة كل خمس سنوات ، ولكن المعاهدة لم تنص على وجوب جلاء القوات البريطانية فور انتهاء المعاهدة أو تجديدها ، ورغم أن انكلترا قــد أنقصت المساعدة المالية إلا أنه لم يبحث في أمر القوات البريطانيــة في ليبية وانسحابها أو تعديل وضعها على الأقل بحيث تخف وطأة المعاهدة السابقة .

وكذلك فقد بقي للولايات المتحدة الاميركية قاعدة الملاحة بالقرب من طرابلس (ويلس Wheelus) التي تعتبر أعظــم قاعدة جوية في الشرق حيث فيهــا ٦٠٠ بناء . وقد وقعت

الولايات المتحدة مع ليبية معاهدة في ١٩ أيلول ١٩٥٤ تؤكد استخدام القوات الاميركية للمناطق التي تستعملها حالياً، وتبين المناطق التي تحتاج إليها في المستقبل مقابل مساعدات مالية ، وكانت المساعدة الامريكية تقدر بأربعة ملايين دولار سنوياً لغاية عام ١٩٦٠ م ، وبعدها تصبح مليون دولار سنوياً لغاية عام ١٩٧١ م .

ورغم اكتشاف البترول في ليبية بكميات ضخمة ، وزيادة ثروة البلاد وغناها ، حيث أصبح بمقدورها الاستغناء عن المساعدات الأجنبية ، لم يطالب المسؤولون بإلغاء هاتين المعاهدتين ، في الوقت الذي كانت فيه بقية الدول العربية تسعى جاهدة للتخلص من القيود المفروضة عليها والمعاهدات المقيدة فيها . وكانت حجة المسؤولين في البلاد أن هذه القواعد كانت صمام أمان أمام عودة الايطاليين الى المنطقة .

الثورة

رغم ان السنوسية حركة دينية اصلاحية قامت بجهود جبارة في الدعوة للاسلام في أرجاء الصحراء الواسعة ، وأقامت الزوايا في كل واحة تقريباً ، واستمرت في هذه الدعوة بصفائها بعد تسلم رجالها الأمر في ليبية ، فإن الحكام منهم وان استمروا في دعم الحركة ودفعها إلا أنهم قد أهملوا تطبيق النظام الذي ينادون به ، ولم ينفذوا ما كان واجباً عليهم ، وارتبطوا بمعاهدات مع انكلترا وأميركا ، ولم يعملوا على إلغاء هذه المعاهدات بعد نفاد مدتها وانتهاء فائدتها كما رأينا ، لذلك أصبحت هناك هوة واسعة بين الحكام السنوسيين وبين دعاتهم الذين يتنقلون في قلب الصحراء .

ورغم أن البترول قد در أرباحاً طائلة على الدولة ، إلا أن هذا الغنى لم ينل منه الشعب شيئاً ، وبقي يعاني ما كان يعاني من قبل من فقر وحالة سيئة ، وإذا كانت قد قامت حركة عمرانية إلا أنها لم تكن لتتعدى المدن وما حولها ، ومناطق البترول

ومايتبعها ، وإن كانت الفترة لا تزال قصيرة إلا أن الأمر واضح أوله .

وأخيراً ظهرت علائم الضعف في الحكم ، واستلم الوزارات من ليسوا لها أهلاً ، وأنفقت أموال في غير طريقها المشروع ، ولا يمكن لحكم كهذا أن يستمر دون أن تعتريه هزة تحركه في اتجاهها أو تدفعه إلى طريق تريدها .

فالشركات البترولية لا يمكن أن تترك الأمر بالشكل الذي هو ، فقد ينتفض الشعب على غفلة منها ، ويباشر الاصلاح ، وعندها تضيع مصالحها وتفقد امتيازاتها ،وكذلك حال الاستعمار الذي تهمه المصالح الخاصة له من قواعد وامتيازات ويمثل مصالح الشركات أيضاً ، لذلك لا بد له من أن يسعى إلى تهيئة حكمٍ قويٍ يخفف حدة نقد الشعب ونقمته وإن لم يفعل شيئاً ،ويسكت هذا الحكم الألسن بقوته تحت عنوان التحرير والثورة ،ويستمر الوضع على الشكل الذي هو ، دون أن يتغير شيء في اتجاهه وارتباطه .

كما أن الشعب لا يمكن أن يسكت عن الوضع المهترىء ، ويغمض عينه عن كل ما يحدث ، وعما يخطط العدو له ، فالبلد لا يمكن أن يخلو من مفكرين وأحرار يغارون على بلدهم ، ويحاولون انقاذه مما يعاني ، وخاصة ان الدعوة السنوسية تخالف ما يقوم به الحكام وما ينفذونه . فالوطنيون يخشون إجهاز الاستعمار على الوضع واستبداله حسب رأيهم ، والاستعمار يخشى انتفاض الشعب على غفلة منه والانقضاض على امتيازاتهم ومصالحهم

وخاصة ان ليبية أصبحت ذات أهمية كبيرة لما فيها من ثروات بترولية ضخمة .

وبينما كان الوضع – حسب ما يراه المراقبون – مستقراً ، وبينما كان الملك محمد ادريس السنوسي في زيارة لليونان إذا بحركة تندفع من داخل الجيش وتتسلم زمام الأمر في الأول من أيلول عام ١٩٦٩ م ، وتعلن إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية ، ويتسلم قائد الثورة العقيد معمر القذافي مقاليد الأمر في البلاد . وقد قامت الثورة خلال تسلمها الحكم بالعديد من الاصلاحات وتحركت حركة إيجابية في جميع المجالات .

١ً – في المجال الوطني :

أ – اتفقت مع انكلترا على إلغاء المعاهدة المعقودة معها ، وانسحبت القوات الانكليزية من ليبية .

ب – اتفقت مع الولات المتحدة بعد مفاوضات استمرت فترة وجيزة على تسليم قاعدة الملاحة (ويلس) ، وقد تم هذا ، واستلمت ليبيا القاعدة ، وانسحبت القوات الاميركية من ليبيا. وأطلق على القاعدة اسم « قاعدة عقبة بن نافع » .

تم ان هذان الأمران بشكل سريع وهادىء ، وبكل تفاهم واتفاق .

٢ً – في المجال الداخلي :

أ – أصدرت الثورة قانوناً يمنع تعاطي الخمرة ضمن الأراضي الليبية .

ب – عملت على تطبيق قانون الزكاة . فأصدرت مجموعة تشريعات لذلك .

ج – عملت على القيام باصلاحات داخلية في شتى الميادين .

٣ – في المجال العربي :

أ – ساعدت الثورة على إعادة حكم جعفر النميري في السودان بعد الحركة التي أطاحت به في تموز ١٩٧١م.

ب – عملت الثورة على قيام اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة مع كل من مصر وسورية ، وكانت طرابلس مركز الاتفاق الذي أعلن فيه عن قيام الاتحاد . ثم نفذت الوحدة الاندماجية مع مصر .

ج – قامت الثورة بتقديم المساعدات إلى بعض الدول العربية .

د – أيدت الثورة القضية الفلسطينية وعملت على دعم المقاومة الفلسطينية .

٤ – في المجال الاسلامي :

أ – وقفت ليبيا إلى جانب المسلمين في الفيليبين الذين يعانون العذاب والاضطهاد والاجلاء عن أراضيهم ، ثم القتل الجماعي في محاولة لإبادتهم والتخلص منهم ، وقد هدد الرئيس معمر القذافي بالتدخل وتقديم المساعدات للمسلمين .

ب – وقفت ليبية بجانب الباكستان أثناء الهجوم الهندي على باكستان الشرقية واقتطاعها هذا الجزء من دولة الباكستان ،وإقامة دولة فيه مرتبطة بالهند ،ورغم وقوف الدول الكبرى بجانب الهند ومساعدة روسيا الفعلي لها ، فقد دعمت ليبيا باكستان رمزاً للتعاون الاسلامي .

ج – وقفت الثورة بجانب حركة تشاد المسلمة ، حيث يعاني المسلمون هناك أقسى أنواع التعصب الطائفي والاضطهاد الديني بكل صوره وأشكاله .

د – مساعدة أوغندة ، ودعم رئيسها عيدي أمين الذي غير خطه السابق ووقف بجانب الحق العربي وطرد البعثة الاسرائيلية من بلاده وقد كان لها دور كبير في البلاد .

وإذا كنا نؤيد جلّ هذه الأعمال في مختلف الميادين ، ونأمل أن يستمر الحكم في طريقه الإيجابي إلا أننا لا نصدر حكمنا مباشرة على الوضع القائم حالياً ، وإنما نعطي حكماً بعد مرور فترة أطول –فلربما– لا سمح الله – انحرف ، فكثيراً ما انحرفت حكومات عن خط سيرها الأول بعد أن سارت به شوطاً بعيداً حتى تمكنت من أمرها ، أو حتى سلطت الأضواء على شخصية رئيسها ، فإذا ما اتجهت نحوه الأنظار ، وسارت وراءه الجموع انحرف ، وسار في الدور المهيأ له ، وهنا تكون صدمة الشعب به ،وبتكرار الأحداث يصيب اليأس الناس ، ويسير كل وراء مصلحته ،وتعم الانتهازية ، ويبتعد الشعب عن فكرته وعقيدته .

وإذا كان هـذا الرئيس أو ذاك الزعيم يتبع فكرة معينة يراد تهديمها فإنها تصاب بالصميم،ويعتبر هذا الانحراف ضربة قاتلة لها.

ولكننا نعطي لكل عمل علامته الخاصة به ، وعلى مجموع الأعمال يكون الحكم على وضع من الأوضاع ، ونستطيع أن نقول أن جلّ الأعمال التي قامت بها الثورة حتى الآن تعتبر جيدة وتلقى كل تقدير .

٥ً – فى المجال الدولي :

الهجوم الدائم على الامبريالية والشيوعية معاً،واعتبار روسية دولة مستعمرة تخدم مصالحها فقط في المنطقة العربية على حساب المصلحة العربية ، وهي لا تختلف عن الولايات المتحدة في شيء. فكلاهما يعمل لمصلحته .

السكان

يبلغ عدد سكان ليبية ما يقارب ١,٥ مليون نسمة ، وبهذا تكون الكثافة أقل من شخص واحـــد في الكيلومتر المربع الواحد . وهي تتوزع على الشكل التالي :

الولاية	المساحة	عددالسكان	الكثافة
طرابلس	٣٥٣,٠٠٠	١٠٠٠,٠٠٠	٣
برقة	٨٥٥,٣٧٠	٠,٤١٠,٠٠٠	٠, ٥
فزان	٥٥١,١٧٠	٠,٠٩٤,٠٠٠	٠,١٨
	١,٧٥٩,٥٤٠	١,٥٠٤,٠٠٠	

وهكذا نلاحظ أن ولاية طرابلس أصغر الولايات مساحة ، ولكنها أكثرها سكاناً، وقد تستطيع استيعاب المزيد من السكان لو استغلت أراضيها الصالحة للزراعة استغلالاً فعـالاً ، واتبعت أساليب الزراعة الحديثة على طول ساحلها الخصب .

إذا اعتبرنا الكيان الاجتماعي الاقتصادي السائد حالياً في ليبية هو الأساس في تصنيف السكان يمكننا تقسيم السكان

الى زمرتين :

المستقرين والرحل : وتشمل فئـة المستقرين أعضاء الأسر التي لها أماكن إقامة ثابتة خلال القسم الأكبر من السنة ، والذين لا يغادرونها إلا عرضاً أو خلال مواسم الزراعة ،وجمع المحاصيل أو الرعي ، ويدخل سكان المدن ضمن هذا القسم إضافة إلى سكان الواحات وعناصر أخرى من السكان .

أما الرحل فيمكن تصنيفهم في فئتين : شبه رحل ورحل ، فشبه الرحل هم أعضاء الأسر التي تنتقل ضمن المناطق الادارية التي تتبعها قبائلهم أو عشائرهم انتجاعاً للكلأ خلال الشتاء والربيع ، وهم في نفس الوقت يملكون أراضي بعلية للزراعـــة ، وهم لا يغادرون حدودهم الادارية إلا في سني الجفاف والقحط الشديدين حين يجبرون على النزوح خارج هذه الحدود بحثاً عن مراع ملائمة لمواشيهم ، أما الرحل فهم الذين يحيون حياة بداوية صرفة ، ولا يتعاطون حرفة خلاف تربية الماشية والإبـل . وهكذا يتنقلون على شكل جماعات صغيرة إلى مناطق بعيدة حيث يجدون ماء المطر ، والمرعى ، حتى ولو كانت هـــذه المناطق نائية جداً عن المناطق التي يتبعونها عادة ، وقد يمكثون في تلك المناطق النائية لفترة طويلة قد تمتد أحياناً لعدد من السنين قبل ان يعودوا إلى أماكن إقامتهم الأصلية .

ورغم ان الصحراء تشمل مناطق واسعـة من البلاد إلا أن عدد الرحل فيها قليل ، حيث يقيم في ولاية فزان البربر وهم من المستقرين . ولنأخذ بعض النسب في الولايات الثلاث التي تتكون

منها البلاد :

الولاية	المستقرون	شبه الرحل	الرحل
طرابلس	٨٠	١٣	٧
برقة	٥٥	٣٣	١٢
فزان	٩١	٦	٣

وهكـذا نلاحظ ان الاستقرار هو نمط المعيشة السائدة في الولايات الثلاث لأن $\frac{٤}{٥}$ سكان ولاية طرابلس من المستقرين،وهم يشكلون $\frac{٢}{٣}$ سكان البلاد عامة . إضافة إلى ان سكان فزان معظمهم من البربر وهم من المستقرين أيضاً. كما ان المناطق الصحراوية خارج الواحات تعتبر شديدة الجفاف مما لا يدع مجالاً للارتحال فيها والانتقال .

أهم العناصر التي يتكون منها السكان هي :

١ - العرب : وهم الأكثرية العظمى ،وقد دخل العنصر العربي الى البلاد على دفعتين .

أ - أثناء الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي يوم تم فتح البلاد على يد عمرو بن العاص حيث استقر عدد من العرب في المنطقة .

ب - أثناء انتقال قبائـــل بني هلال وبني سُليم في القرن الحادي عشر الميلادي حيث استقر عـدد من بطون هاتين القبيلتين في المنطقة .

ويقل العرب في الغرب بينما يكثرون في برقة ، وتتخذ بعض القبائل العربية الارتحال من مكان إلى آخر وراء الكلأ والماء ، وتوجد بطون لعدد من هذه القبائل في مصر .

٢ ـ البربر : وقد كانوا في البلاد قبـــل الفتح الإسلامي ، وينتشر البربر في ولاية طرابلس وخاصة في المدن الغربية منهـا مثل زوارة ويفرن وغيرهـا .... ولا يزيد عددهم في ليبية عن ١٩٠ ألف نسمة . ومعظمهم يتبع المذهب الأباضي ، ويعيشون مستقرين في المدن والواحات ولا يتنقلون مطلقاً ، كما أن لهم لغة خاصة يتكلمونها فيما بينهم ،إضافة إلى اللغة العربية التي يجيدونها.

٣ ـ الطوارق : وهم التوارك هكـذا أطلق عليهم المسلمون الأوائل ، حيث أنهم تركوا الإسلام بعد أن اعتنقوه ، ولكنهم فيما بعد حسن أسلامهم ، وينتشرون في الصحراء، ويسمون أيضاً باسم « بدو الصحراء »،وهم طوال القامة سمر، البشرة،يتركزون في ولاية فزان ، ويختلف الطوارق عن العرب والبربر في نظام معيشتهم ونظرتهم الى المرأة ، وهم قوم رحل ينتظمون في قبائل ينتخبون رؤساءها ويكون خليفة الرئيس عادة ابن أخته .

والطوارق نبلاء وأمجاد ، والأمجاد يتبعون النبلاء ، ورئيس النبلاء هو القائد أثناء الحرب والقاضي أثنـاء السلم . وتتحدد مكانة الشخص وطبقته تبعاً لمكانة أمه .

وللمرأة مكانة عظيمة عند الطوارق ، وهي لا تضع الحجاب على وجهها،بل الرجل هو الذي يضع اللثام،ويختلف اللثام حسب الطبقة ، فالأمجاد يضعون اللثام الأبيض ، والنبلاء يضعون اللثام

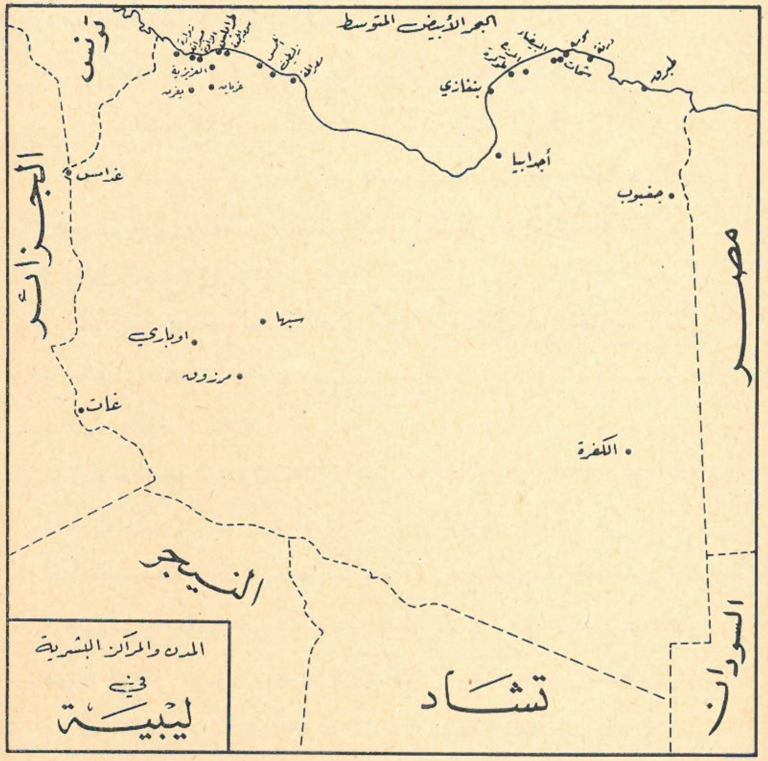

الأسود . وهم يضعون اللثام ليلاً ونهاراً ، حضراً وسفراً، ولعلهم اتخذوه في الأصل اتقاءً للبرد والحر ، أو اتقاء لرمال الصحراء ، أو خدعة وتنكراً في الحروب ، ولا يستطيع الطارقي أن يرفعه حتى أثناء النوم ، ولا يرفعه قط إلا حين يتناول الطعام، وهو في هذه الحالة يضع يده على فمه .

وللطوارق لغة خاصة بهم إضافة إلى اللغة العربية .

٤ ـ **الزنوج** :وعددهم قليل ويكثرون في فزان ، وهم من سلالة العبيد الذين جلبوا من قلب إفريقية ، ويوجد في أقصى الجنوب على مرتفعات تيبستي قبائل التيبو، وهم في الأصل عرب اختلطوا مع الزنوج .

وتوجد ملامح لعناصر أخرى جاءت من خارج البلاد ، واختلطت مع السكان مثل الكريتيون في برقة والاتراك والشراكسة .

٥ ـ **اليهود** : وهم أقلية أيضاً، وقد جاءوا البلاد على شكل دفعات الأولى منذ أيام الرومان ، والثانية جاءت من الأندلس أثناء الاضطهاد الديني بعد خروج المسلمين منها، والثالثة في القرن التاسع عشر جاءوا من أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية ليمثلوا دوراً لهم ، كما فعل اليهود الدونمة في تركيا . وقد هاجر معظمهم إلى فلسطين، ولا يزيد عددهم عن ٦٠٠٠ نسمة، معظمهم يقيم في مدينة طرابلس ، وبعضهم وهو القليل حيث لا يتجاوز المئات يقيم في برقة ، ويعملون في التجارة .

٦ ـ **الأجانب** : يوجد في البلاد عدد من الأجانب يزيد على

٨٠ ألف نسمة ينتمون إلى ٣٥ جنسية ، معظمهم يقيم في ولاية طرابلس حيث يتجمع في هذه الولاية ٩٢٪ من الاجانب ، بينما يوجد في برقة ٧٪ منهم ، أما ولاية فزان فلا تضم أكثر من ١ ٪ منهم .

ويشكل الايطاليون ٨٠٪ من الأجانب أي ٦٤ ألف نسمة ، ويقيم جميعهم في ولاية طرابلس معظمهم يقيم في مدينة طرابلس بالذات ، ويليهم الانكليز ثم المالطيون ثم الالمان والفرنسيون واليونان والاميركان .

هنالك جاليات من البلاد العربية من مصريين وتونسيين وسوريين، وتزداد نسبتهم تدريجياً بسبب وضع البلاد الاعماري.

اللغـــة

اللغة السائدة في ليبيا هي العربية ، ويتكلمها كل السكان ، وهي ذات لهجة خاصة بها تشبه إلى حد كبير اللهجة في صعيد مصر . ويتكلم البربر لغة خاصة بهم إضافة إلى اللغة العربية ، ولكن اللغة البربرية سماعية ليس لها أبجدية تكتب بها. وكذلك يتكلم الطوارق لغة خاصة بهم إلى جانب العربية ، ولكن للغة الطوارق أبجدية يختلف عدد حروفها من مكان لآخر ، وكذلك تختلف في كتابتها .

وتشمل اللهجة الليبية كلمات من أصل عربي دخلهـــا بعض التحريف حيث يكثر استخدام التصغير فيها ، كما تشمل كلمات أجنبية من أصل تركي أو إيطالي .

الدين

١ – المسلمون :

يدين الشعب الليبي جميعاً بالاسلام باستثناء قلة من اليهود .

وعندما دخل المسلمون ليبيا كانت تنتشر فيها المسيحية ، ولكنها بدأت تضمر تدريجياً حيث دخـــل بعضهم بالاسلام ، وهاجر من البلاد من بقي على عقيدته الأولى بشكل تدريجي ، ولم يأت القرن السادس الهجري إلا وقـــد خلت البلاد من المسيحيين ، وكانت هجرتهم من تلقـاء أنفسهم ، ومعظم الذين هاجروا انتقلوا إلى مصر ، لذا لا نستطيع أن نقول ان المسلمين هم الذين أجبروهم على الهجرة فقد كان انتقالهم إلى بلد يسيطر فيه المسلمون أيضاً ، ويذكر البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري أن أهل « أجدابية » [1] ذو يسار وأكثرهم أقباط .

والمسلمون العرب يتبعون المذهب المالكي جميعاً ، أما البربر

(١) مدينة على الطريق بين برقة وطرابلس ، قرب زوتينيه اليوم .

فيتبعون المذهب الأباضي الذي ينتسب إلى عبد الله بن أباض الذي عاش في القرن الأول الهجري أيام الدولة الأموية، والأباضية إحدى فرق الخوارج المسالمة والتي افترقت عنهم على مدى الأيام، لذا ينتشر هذا المذهب مع انتشار البربر في ولاية طرابلس وخاصة في زوارة ونفوسة .

الطرق الصوفية :

تنتشر الطرق الصوفية في ليبيا انتشاراً واسعاً نتيجة تدين الشعب ، وأشهر هذه الطرق :

أ ـ السنوسية :

وتنتشر بشكل خاص في ولاية برقة وفي الصحراء، وهي تختلف عن الطرق الصوفية الأخرى بالتواكل والانعزال ، وقد نشأت هذه الطريقة عام ١٨٣٧م على يد السيد محمد علي السنوسي ـ كما بحثنا ـ وقد وجد السنوسي في ليبية أن البدو في الجبل الأخضر قد جعلوا لهم مكاناً يحجون إليه بدلاً من مكة المكرمة، كما أنهم يذهبون إلى وادي (زازا) قبل حلول شهر رمضان ، وهناك ينادون بأعلى أصواتهم أنصوم رمضان أم لا ؟ فيأتي الصدى بالكلمة الأخيرة لا ، فيبيحون لأنفسهم الإفطار هكذا أوحى إليهم زعماؤهم ، فبدأ في إصلاحهم وتوجيههم، وانتشرت السنوسية بشكل واسع في الصحراء حيث كانوا يقومون بايجاد مراكز تعاونية واجتماعية واقتصادية بين البدو ، ولهذا كانت مراكز السنوسية مراكز تعليم وتعمير وإنشاء، وهي بهذا تشكل مجتمعاً

إسلامياً واقعياً . كما كان لهذه الطريقة الدور الأول في الجهاد ضد الاستعمار الايطالي ، ثم في الاستقلال .

ب – العمروسية – السلامية :

وقد أسسها أبو العباس بن عمروس وأعاد لها الحياة سيدي عبد السلام الفيتوري ، ولهذا الأخير ضريح في زليطن (غرب مصراطة) يزوره السكان ، وتنتشر هذه الطريقة في طرابلس فقط .

ج – المرابطون :

وهم من الذين يقومون ببعض أعمال الشعوذة ويعتبرونها سراً من الأسرار التي يملكونها ، وكثير من الشعب يؤمن بهؤلاء المشعوذين .

والشعب الليبي بشكل عام متدين، ويؤدي الفرائض الدينية بشكل جيد ويحرص عليها حرصاً شديداً، ويعتبر يوم عاشوراء (العاشر من محرم) نهاية العام واستحقاق دفع الزكاة (تمام الحول) .

٢ – المسيحيون :

لا يوجد في البلاد كلها مسيحي واحد من أصل ليبي ، وإنما المسيحيون هم من الأجانب الذين يقيمون في البلاد .

٣ – اليهود :

وهم قلة لا يتجاوزون عدة آلاف .

العادات الاجتماعية

تختلف العادات باختلاف المناطق والحالة المادية والطبقة التي ينتمي إليها السكان كما تختلف حسب جنس السكان ، ولكن يمكن أن نلاحظ بعض الأمور العامة .

اللباس : يلبس الرجل قميصاً من القطن يسمى (السورية) ، والسروال الذي يصل إلى القدم ، وفوق القميص يلبس ما يسمى بـ (الفرملة) وهي تشبه الصدرية ، وفوقها « الزبون » ويصنع من الصوف وهو يشبه السترة (الجاكيت) . وقد يلبس العباءة أو البرنس ، وغالباً ما يلتف (بالجولي) ، وهو خاص بليبية ، ويصنع من الصوف أو الحرير ، ويحمي صاحبه حر الصيف أو برد الشتاء ، ويضع على رأسه طاقية أو طربوش مغربي أو قلبق أسود اللون ، أما الطارقي فيضع اللثام .

وتلبس المرأة الحجاب ، ولا يظهر منها إلا عين واحدة ، أما المرأة الفزانية فتكون سافرة الوجه . ويسمى المنديل الذي تصنعه المرأة الليبية (تشمال) ، وتلتف بالحولي الأبيض اللون ،

ويسمى أسماء مختلفة حسب المناطق ، فهو اللحاف ، وهو الجرد ، وهو الفراشية . وتوشى ألبستها ببعض الخيوط الذهبية والمطرزات .

الطعام : معظم الأطعمة في ليبية تصنع في الدقيق ، وتكثر فيها البهارات ، بينما تقل فيها نسبة الخضار ، وهذا بسبب قلة المنتجات الزراعية . وأشهر أنواع الطعام .

الكسكي : ويسمى المسفوف ويصنع من السمن والبصل واليقطين والبطاطا واللحم والبيض .

الرشته : وتصنع من السميد الناعم المعجون بالبيض .

البازين : دقيق من القمح أو الشعير يضاف إلى الماء المغلي المالح .

الزوميته : طعام خاص بأهل الصحراء .

ويعتبر الغداء والعشاء وجبات رئيسية لذلك تطهو المرأة الطعام مرتين ، مرة لكل وجبة من هاتين الوجبتين ، ويجلس الرجال على مائدة خاصة ، والنساء على أخرى .

وهناك أطعمة خاصة في المواسم مثل عاشوراء ، وعيد المولد النبوي الشريف ، وعيد الفطر وعيد الأضحى ، وتنتشر عندهم عادة شرب الشاي لدرجة كبيرة حتى لتعتبر من الضروريات بالنسبة إليهم أما القهوة فأقل انتشاراً . ويستخرج من النخيل شراب خاص يعرف باسم (اللاجبى) .

المسكن : تزدحم المساكن بأهلها نظراً لبقاء الأب والابن

وأحفاده في بيت واحد ، كما أن هذه المساكن قليلة التهوية بسبب قلة النوافذ محافظة على حجاب المرأة – حسب رأيهم – ولهذين السببين فالمساكن تعتبر غير صحية . ويسمى المنزل عندهم بالحوش ، وأهم ما فيه غرفة الضيوف وتسمى « المربوعة » وتبدو وكأنها غرفة مستقلة عن البيت في سبيل المحافظة على حجاب المرأة أيضاً . وللحوش ساحة في وسطه مكشوفة ، ولكن قلما نجد نافذة حتى إليها .

وتتألف بيوت الأغنياء من طابقين ، ويشرف الطابق الثاني على ساحة الحوش . وتبنى البيوت في الريف من الطين المجفف ، بينما تتخذ من الحجارة في المدن .

وتستعمل السدة وهي ألواح من خشب بدلاً من الأسرة كأثاث في البيت .

ولا يزال في ولاية طرابلس من يعيش في الكهوف الجبلية ، وقد يحفر الناس بيوتهم في الصخر في مناطق غريان ، ويكون مدخل البيت على شكل ممر طويل وملتو ، يصل إلى بقعة محفورة في وسط الجبل ، وجدرانها قائمة وغير مسقوفة ، وتسمى بالضوايه ، أي المنور ، وهذا الطراز محافظة على التقاليد القديمة التي كانت منتشرة يوم كان الأمن مفقوداً ، ويخشى الاعتداء على حرمات البيوت من العدو والحيوان .

الزواج : أهم ما يتصف به الزواج في ليبية أن للفتاة ليس لها حق في اختيار الزوج بل لا تسأل مطلقاً ، وكثيراً من

الأحيان ما يكون هذا للشاب أيضاً . فالأبوان هما اللذان يختاران لولدهما الفتاة المناسبة له . ثم إن نفقات الزواج من حفلات وولائم تستنفد قسماً كبيرة من مال الأسرة ، ولا تعود هذه النفقات بأية فائدة على الزوجين ، كما أنه يراعي الترتيب العائلي في الزواج ، فلا تزوج البنت الصغرى قبل الكبرى ، ويفضل أن يكون الزواج من منطقة قريبة .

وتبدأ حفلة الزواج عادة يوم الخميس ، حيث تقوم النساء بالدعوة إلى الزفاف إلى يوم الخميس المقبل . ويكون يوم الاثنين يوم (القفة) حيث يرسل الزوج إلى خطيبته قفة تحوي العطور والبخور والحناء والقطع المطرزة ، وتستقبل القفة عادة بالاهازيج . ويكون يوم الثلاثاء (الحفة الصغيرة) أي تزيين العروس ، ويكون يوم الاربعاء (الحفة الكبيرة) أو (ليلة النجمة) ويستمر تزيين العروس فيها . ويكون يوم الخميس يوم الزفاف . حيث تتلى في المسجد قصة المولد الشريف ويحضر ذلك الشاب وعند انتهاء المولد يسير معه صحبه حتى قرب المنزل ، ويكون يوم الجمعة (المحضر) حيث يسمح للنساء برؤية العروس .

ومن العادات المتبعة أن هناك نساء مخصصات للغناء ، ويسمين الزمزامات ، وامرأة مخصصة لتجميل العروس وتسمى الزيانة . وأن الزوج لا ينام في بيته يوم الزفاف ، وإنما في بيت آخر ، ويأتي في اليوم التالي ، ولا يغادر البيت يوم الزفاف إلا بعد أن يلتقي

مع عروسه . ويقدم للعروس عند اللقاء هدية من الذهب وتعرف (كلام فمها) ، ويتبادلان قطع السكر . تأخذ أما العروسين يوم المحضر (النقوط) وتسمى (الرحى) . وعند وصول الزوجة إلى بيت الزوج تكسر جرة ماء رمزاً للتفاؤل .

أما في الريف فقد يلمح الرجل خطيبته لمحة خاطفة ، ويقدم الزوج للعروس في القفة الحبوب والملابس والزيت . ويرسل بعض الحيوانات .

كما انه من العادات في بعض المناطق أن تكسر الزوجة بيضة على جدار الدار رمزاً للتفاؤل. وتقوم عند البدو أعمال الفروسية احتفالاً بالزفاف .

ويحتفل باسبوع ميلاد الطفل وأثناء الختان احتفالات تتناسب مع ثراء العائلة .

كما تكثر حوادث الطلاق لدرجة كبيرة بسبب الجهل .

المرأة : والمرأة محتجبة داخل البيت وقلما تخرج ، وقد ابتدأ خروج النساء في برقة ،أما المرأة عند الطوارق فهي سافرة بينما الرجل هو الذي يضع اللثام، ورغم ذلك فالمرأة الليبية كان لها دور مجيد في النضال ضد الطليان .

صفات الشعب العامة :

للأب سلطة كبيرة على الأبناء ، حتى أنه هو الذي يختار لهم الزوجات ، ويبقى الأبناء برعاية أبيهم وظله مهما بلغوا من السن ، ويعيشون في منزله وكنفه مهما زاد عددهم ، وإذا أراد

الابن شيئاً من أبيه فإنه يكلم أمه أو أحد معارفه ليبلغه رغبته.

وليس للأب الاحترام والسيادة فقط وإنما لكل كبير ، فالصغير يطيع أخاه الكبير ، ولا يتزوج قبله ولهذا تنشأ المحافظة على التقاليد والعادات الموروثة وعدم التطور السريع .

والشعب متدين ، يحترم من له صلة بدين ويكون له عندهم مكانة خاصة ، وهذا ما يجعل المرابطين الذين يقومون بأعمال الشعوذة لهم مركز خاص . كما انهم يتحملون حياة التقشف والبساطة .

وقد نشأ عند الشعب نوع من الاهمال والتكاسل إضافة إلى نوع من كراهية الغريب مهما كانت بينهم وبينه صلات ، فهم يسمون كل الغرباء أجانب حتى القادمين من البلاد العربية بشأن المشاركة في اعمار البلاد ، وهذا ما جعل الرئيس القذافي يضيق بالسكان ذرعاً، ولقد تكلم وبصراحة في خطبه العامة منددا بهذا التقيد بالعادات الموروثة من الاهمال ، فهم لا يستطيعون العمل ويتكاسلون فيه ، ولا يرحبون بمن يأتي إليهم في سبيل تطور البلاد ، كما أنه كان يضطر إلى أن يطلب من القوات المسلحة القيام ببعض الأعمال مثل جمع الزيتون وغيره .

المحافظات والمدن

تقسم ليبية إلى ثلاث ولايات وهي : طرابلس وبرقة وفزان وتضم كل ولاية بدورها عدداً من المحافظات ، وهي كما يلي :

١ً - ولاية طرابلس : وتضم

أ ـ محافظة طرابلس : ومركزها مدينة طرابلس ، وهي أصغر المحافظات مساحةً .

ب ـ محافظة الزاوية : ومركزها مدينة الزاوية ، وتقع في غرب محافظة طرابلس حتى الحدود التونسية .

جـ ـ محافظة الخمس : ومركزها مدينة الخمس ، وتقـع في شرق محافظة طرابلس ، وتمتد نحو الجنوب لتشمل جزءاً من الحمادة الحمراء .

د ـ محافظة مصراطة : ومركزها مدينة مصراطة ، وتقع شرق محافظة الخمس ، وتشمل جزءاً واسعاً من خليج سرته .

هـ ـ محافظة غريان : ومركزها مدينة غريان ، وتضم الباقي

من ولاية طرابلس ، وتحد الولايات السابقة جميعاً ، كما أنها أوسعها مساحة . وتشمل المنطقة الجبلية في الولاية والحمادة الحمراء .

٢ً - ولاية برقة : وتضم

أ ـ محافظة البيضاء : ومركزها مدينة البيضاء .

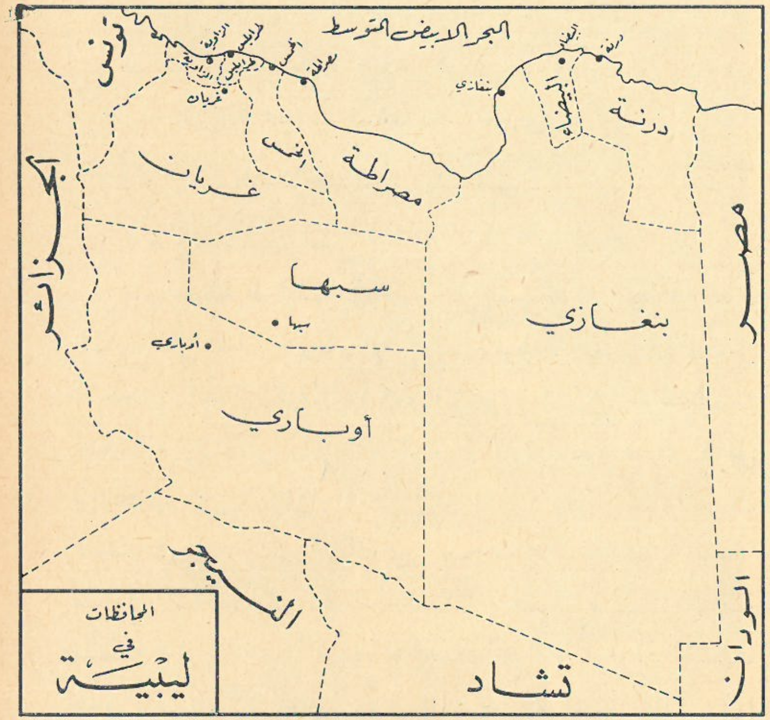

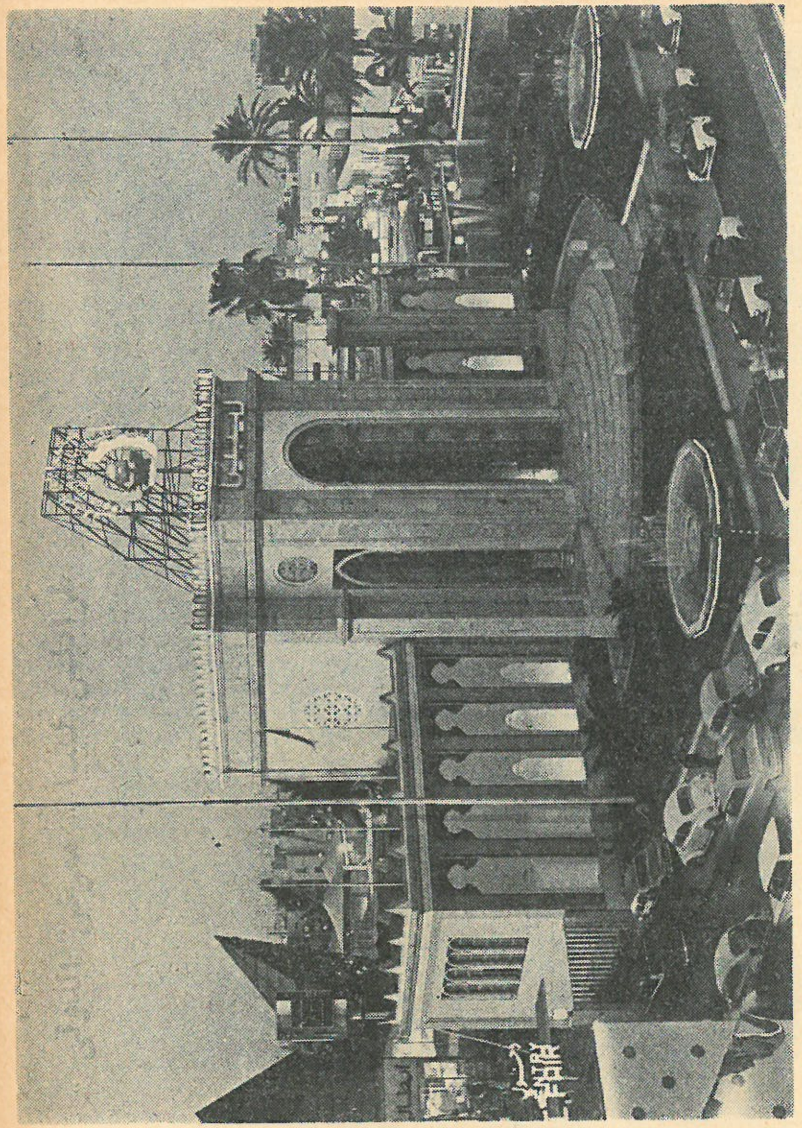

معرض طرابلس الدولي

ب ـ محافظة درنة : ومركزهـا درنة ، وتضم الواحات الشمالية وتمتد حتى الحدود المصرية .

جـ ـ محافظة بنغازي : ومركزها مدينة بنغازي ، وتمتد حتى حدود مصر والسودان ، وتشاد ، وتضم بقية أراضي برقة ، وتعتبر أوسع المحافظات في ليبية .

٣ ـ ولاية فزان : وتضم

أ ـ محافظة سبها : ومركزها سبها .

ب ـ محافظة أوباري : ومركزها مدينة أوباري ، وهي ثاني المحافظات اتساعاً بعد بنغازي .

وأما أشهر المدن حسب الولايات فهي :

أ ـ في ولاية طرابلس :

١ ـ مدينة طرابلس : وقد وصل الفينيقيون إليها في القرن السابع قبل الميلاد ، وكانوا يعرفونها باسم « أوبا » وهم الذين أدخلوا زراعة الفاكهة إليها ، وانتزعوا السكان الوطنيين من حياة البداوة وألزموهم بالاستقرار والارتباط بالأرض ، بل وإرغامهم على الاستقرار في قرى أو مدن ، ومن أمثلة ما حدث التجمع في المدن الثلاث الكبرى (صبراته ، أوبا ، لبدة) وهذا ما تعني كلمة طرابلس (المدن الثلاث) فعمت هـذه التسمية المنطقة ، ثم إن مدينة « أوبا » أخذت هذا الاسم ،وقد اشتغلت هذه المدن أيضاً بالتجارة . وطرابلس عاصمة ليبية الحالية ،

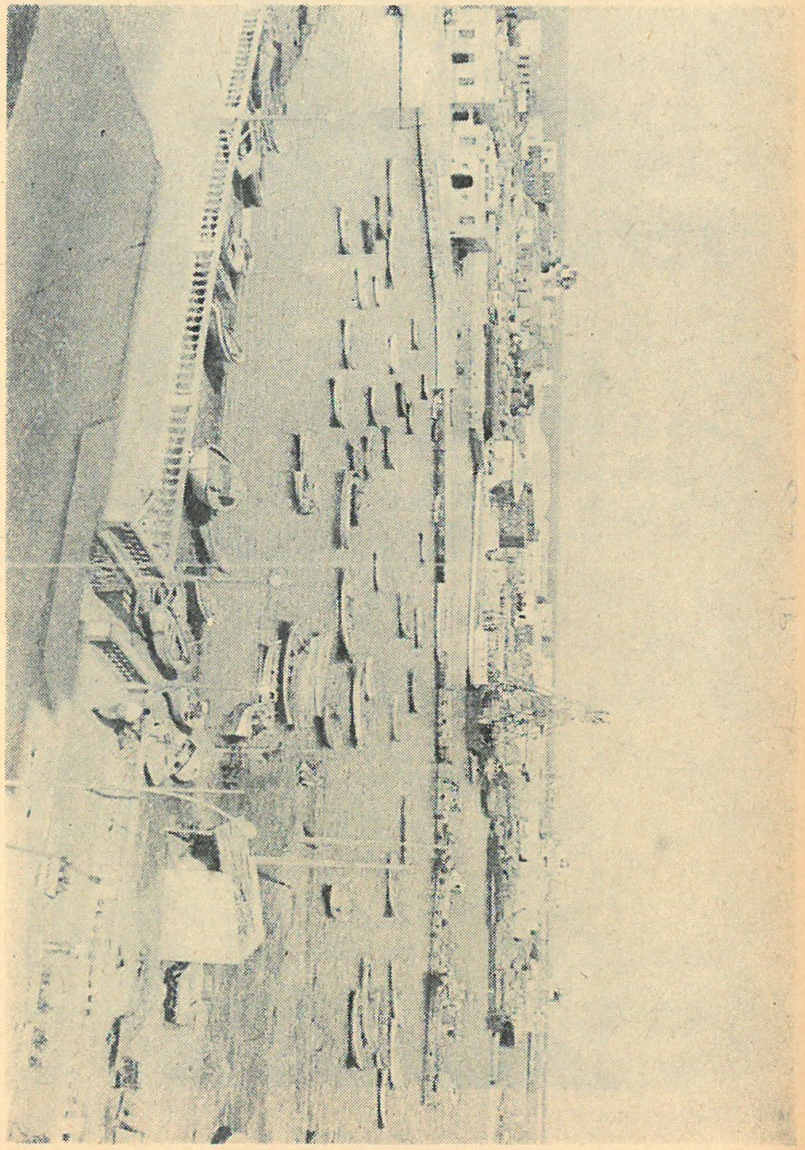

مرفأ طرابلس

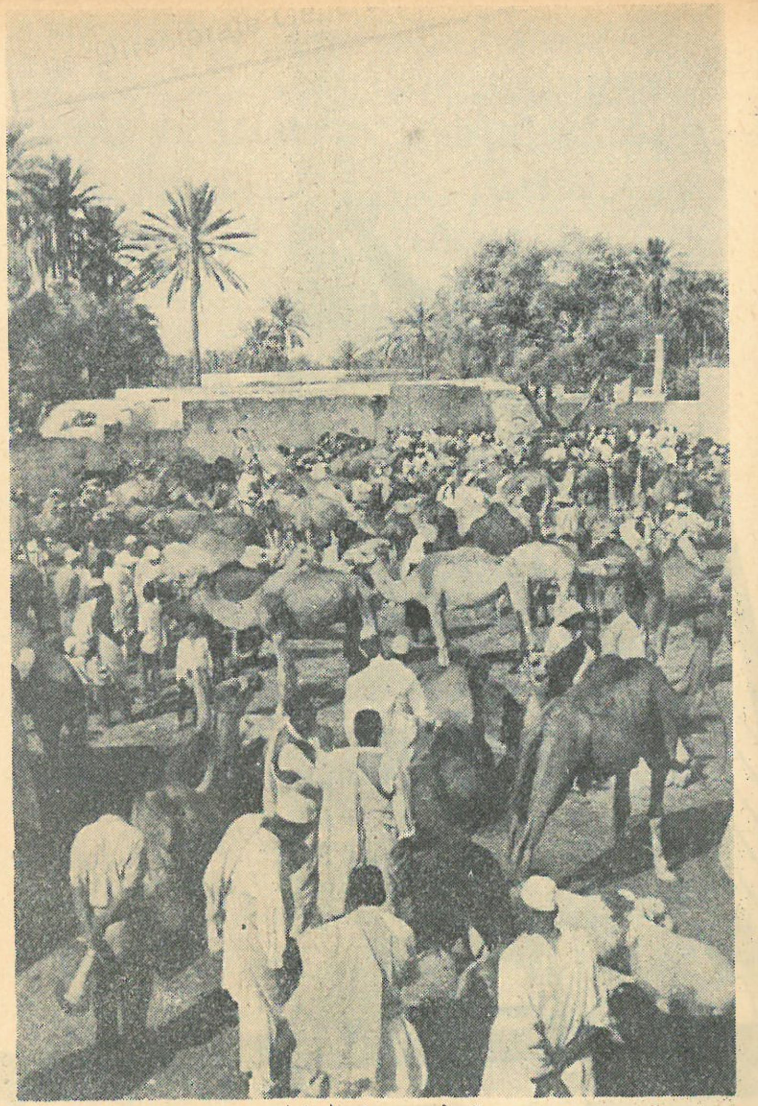

سوق في مدينة طرابلس

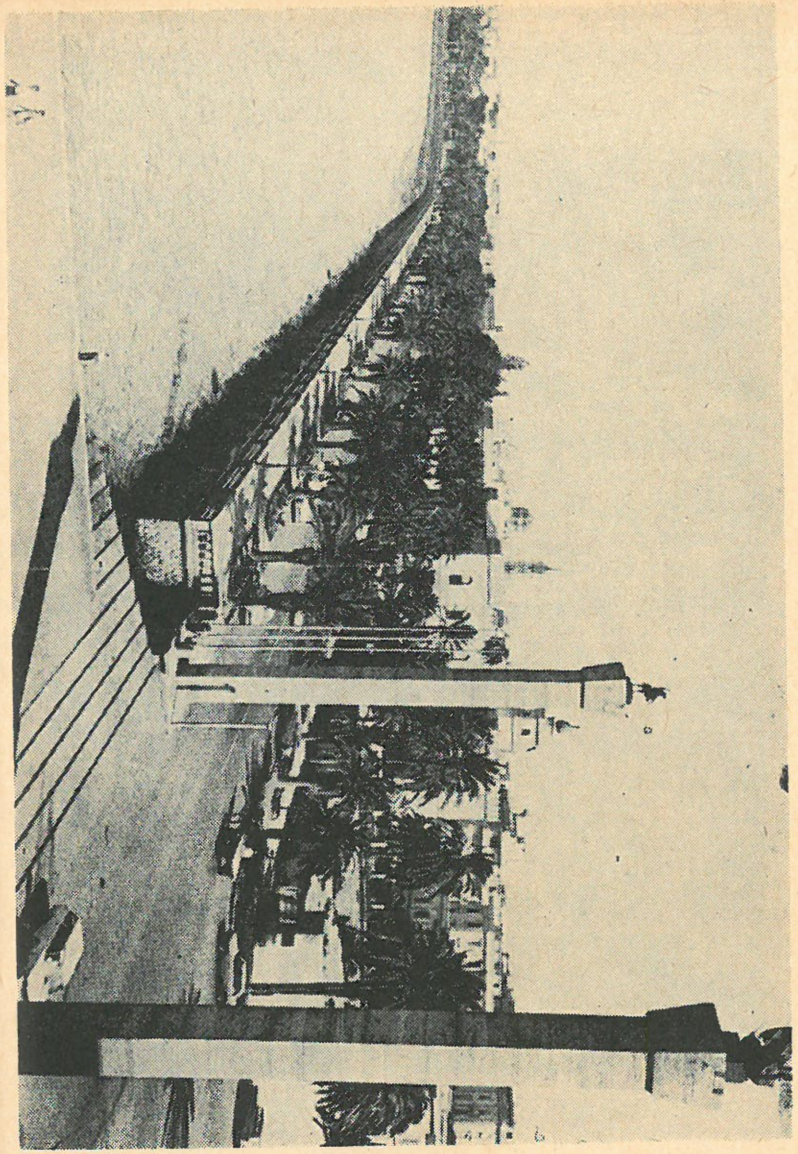

منظر من طرابلس

وستبقى مركز غرب البلاد بعد نقل العاصمة إلى مدينة البيضاء في برقة . وطرابلس مدينة الحضارة العريقة ، والفن المعماري الجذاب والتنظيم الهندسي الدقيق ، أكبر المدن الليبية حجماً ، وأوفرها نشاطاً وحركة ، وأكثرها سكاناً (٢٥٠،٠٠٠) نسمة . وأبهاها حداثة وجمالاً ، تقع على منتصف ساحل البحر الأبيض المتوسط ، واجهتها تحضن البحر ،ويمتد وراءها ريف يانع أخضر فقرى عربية عريقة ، فصحراء ملهمة حيث البدو بجمالهم وخيولهم العربية الأصيلة ، اكتسبت من الطبيعة أجمل مناظرها، ومن المناخ أعدله وألطفه، شمس دافئة وقمر مضيء ساطع يتغزل في روعة المدينة وجمالها ، وهي قبلة السياح من كل جنس، وأمل الزوار من كل بلد ، وأمنية كل مصطاف ، وغاية كل عاشق للآثار القديمة ، تقف مبانيها الحديثة جنباً إلى جنب مع إبداع الأمم الموغلة في التاريخ ، فنجد قوس (ماركوس أورليوس) ، وتجد وسط أكبر ميدان في المدينة (سيبتيموس سيفاروس) ، ونجد الآثار الرومانية القديمة ، والاسلامية بنقوشها الرائعة وزخرفتها الدقيقة ، وتشتهر بمساجدها العريقة والحديثة ، وهي مركز الجاليات الأجنبية . يحمي ميناءها من الغرب الرصيف الاسباني، ومن الشرق الرصيف القره مانلي ، وقد أصيب الميناء بأضرار كبيرة أثناء الحرب العالمية الثانية ثم أعيد اصلاحه ، وكل صادرات ولايتي طرابلس وفزان تتم عن طريقه وكذلك الواردات .

وإلى الجنوب من طرابلس تقع مدينة العزيزية حيث يصنع

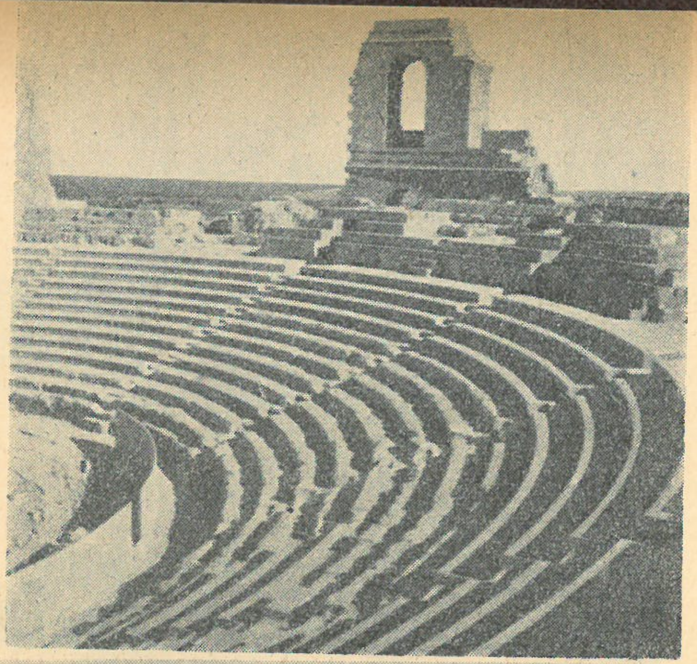

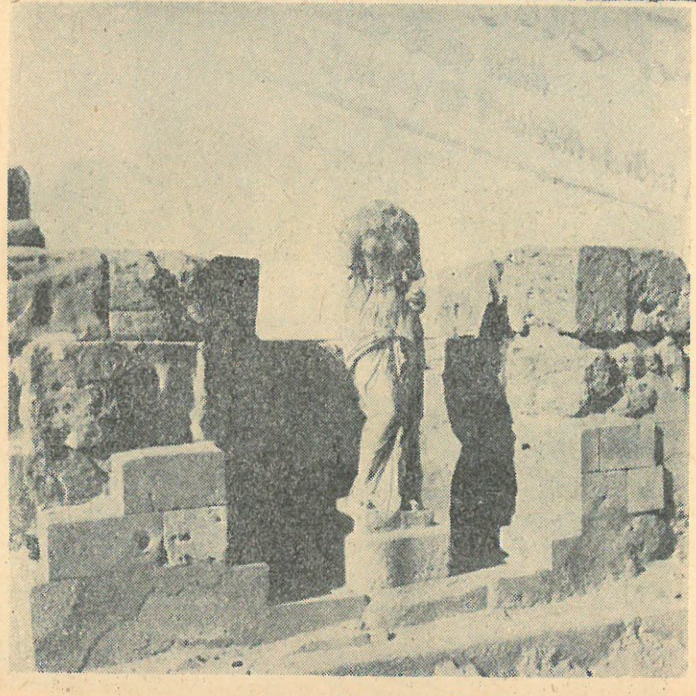

آثار قديمة في صبراته

السكر للمنطقة بأكملها ، وإلى الشرق منهـا سوق الجمعة وهو قرية جميلة ، حيث عرضت المدينة بأسواقهـا العربية القديمة وكذلك يوجد فيها سوق الثلاثاء إضافة إلى الأسواق الحديثة المنظمة .

٢ ــ **صبراته** : وتقع غرب طرابلس على بعد ٦٧ كم على الطريق الساحلي ، وتضرب بجذورها العريقة في أعماق التاريخ فتحكي قصة الحياة النابضة التي شكلتها الحضارة القديمة أيام الفنيقيين والرومان وتنطق آثارها الشامخة بازدهار الحضارات فوق ثراها، وقد كانت تعرف في البحوث القديمة بأنها مستعمرة فينيقية ، لكن الأسلوب العلمي الثابت بالحفريات الأثرية يؤكد بأنها لم تدخل تحت حوزة الفينيقيين النازحين من الساحل السوري قديماً إلا في القرن الخامس للميلاد . ويرى الإنسان عندما يعيش بين أعمدتها ومسرحها وتماثيلها الأثرية أنه أمام ملحمة تاريخية هائلة تعزف بأنغامها وكأنها ترتل نشيداً انسانياً يعبر عما صنعته يد الإنسان في القديم، ويعيش عبر رحاب الزمن الطويلة فيشاهد تلك الأجيال التي عاشت بحضارتها في هذه المدينة . وتأتيها اليوم الفرق العالمية لتؤدي فيها المسرحيات لتربط الحاضر بالماضي البعيد .

وسبب ازدهار هذه المدينة يرجع إلى التجارة حيث كانت من أهم المراكز التجارية على الساحل الافريقي ، وكان شعارها التجاري يحمل صورة الفيل رمزاً إلى شهرة أسواقها

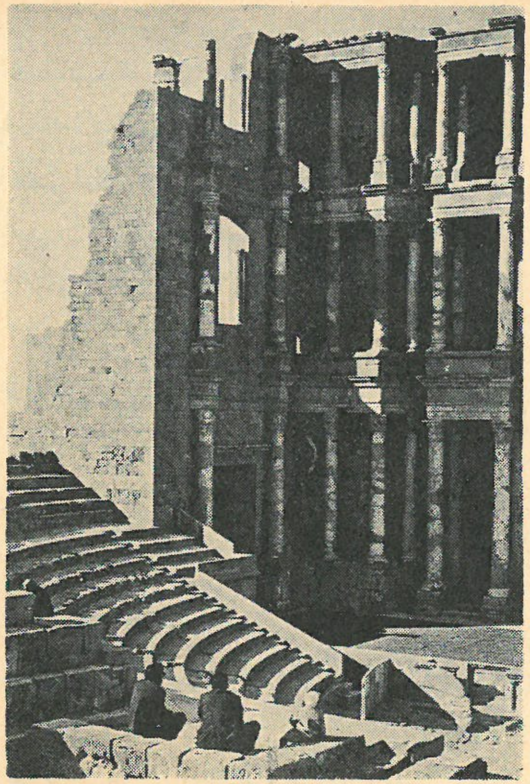

آثار قديمة في صبراته

بتجارة العاج الوارد إليها من أواسط إفريقية عبر فزان وغدامس وبما أنها تمتعت بهذه الثروة فقد أغرت الغزاة والمغامرين، وقد تم تدميرها عام ٤٥٥ ق . م على أيدي قبائل الواندل القادمة من أوربا ، فأصبحت خراباً ، وعندما احتلها الرومان

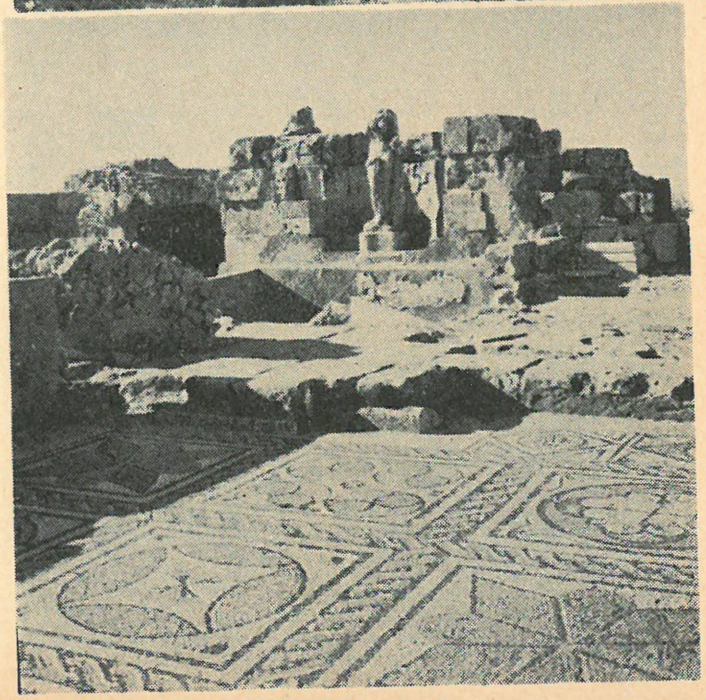

آثار قديمة في صبراته

٥٣٣ م تم تحصين القسم القديم في عهد الملك جوستينان وبنيت فيها آنذاك الكنيسة . وعندما فتحها المسلمون أبقوها كحصن دفاعي بينما نقلوا سوقها التجاري إلى مدينة طرابلس..

٣ – **مصراطة** : وتقع في شرق ولاية طرابلس قرب رأس البرج ، وهي مركز محافظة مصراطة ، وإلى جنوبها تمتد مستنقعات طاورغا .

٤ – **الخمس** : وتقع بين طرابلس ومصراطة ، وهي مركز محافظة الخمس ، وهي مدينة لبدة القديمة .

٥ – **زليطن** : تقع بين مصراطة والخمس في منتصف الطريق .

٦ – **الزاوية** : مركز محافظة الزاوية ، وتعتبر صبراته من أهم مراكزها الأثرية .

٧ – **زوارة** : وتقع غرب صبراته ، ومعظم سكانها من البربر ، وينتشر فيها المذهب الأباضي .

٨ – **غريان** : مركز محافظة غريان وتعتبر مصيفاً من مصايف طرابلس ، وتشتهر ببيوتها المحفورة ضمن الصخور .

٩ – **يفرن** : مصيف من مصايف طرابلس أيضاً ، وتقع جنوب غربي غريان ، ومعظم سكانها من البربر .

١٠ – **غدامس** : أشهر الواحات في الغرب وتقع قرب الحدود التونسية ، حيث تلتف الحدود حولها لتطوقها من جهاتها الثلاث .

١ – بنغازي :

تلي طرابلس من حيث الأهمية وعدد السكان ، وهي العاصمة الشرقية ،وهبتها الطبيعة منظراً جذاباً يشد إليه النفوس وتعشقه القلوب ،تمتد بمحاذاة شاطىء البحر بتنسيق حديث وفن معماري رائع ينتشر في كل أطرافها حيث تشكلت أحياء جديدة غاية في الذوق الرفيع وهي في تطور يومي .

وهي تجمع في القديم أجمله وأعزه وكانت تسمى في العهد اليوناني باسم « يوسيريدس » وعرفت في العهد الروماني باسم « برنيق » وتحوي من الحديث أفضله وأروعه وقد سميت في العهد الاسلامي باسمها الحالي بنغازي ، وقد أخذت اسمها من رجل كان يعرف باسم « سيدي غازي » استوطىء بها ومات ودفن فيها في القرن الخامس عشر الميلادي وقبره اليوم في مقبرة (السيد خربيش) ، وكان سكانها في هذه الفترة من السكان القادمين من مصراطة وبقية المدن بساحل ولاية طرابلس .

وقد أسست هذه المدينة عام ٤٤٦ ق.م ، وهي تقع على شبه جزيرة محصورة من البحر ، وتنفرد عن سائر المدن الليبية بحديقة الحيوانات التي تجمع بين رحابها مختلف السلالات ، وهي تزخر بالأعمال التجارية ، ويقيم فيها بعض الأجانب وإن كانوا ذا عدد قليل .

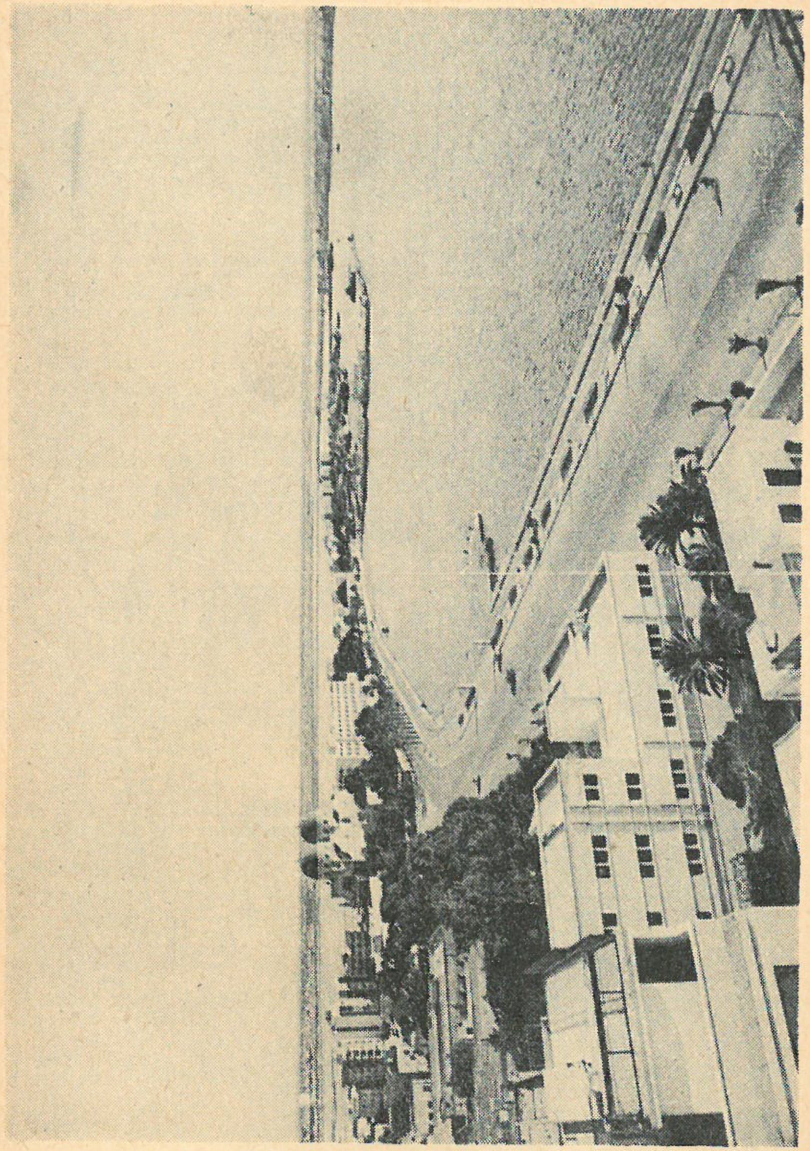

منظر من بنغازي

شارع من بنغازي

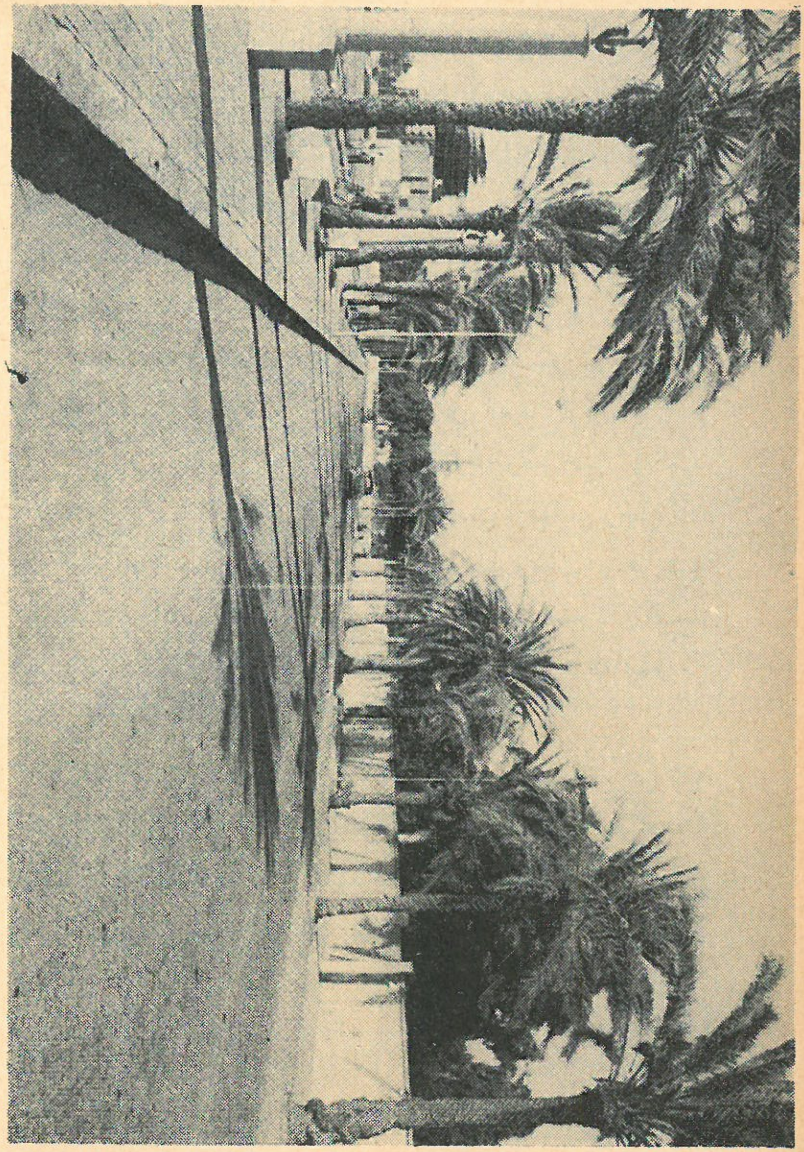

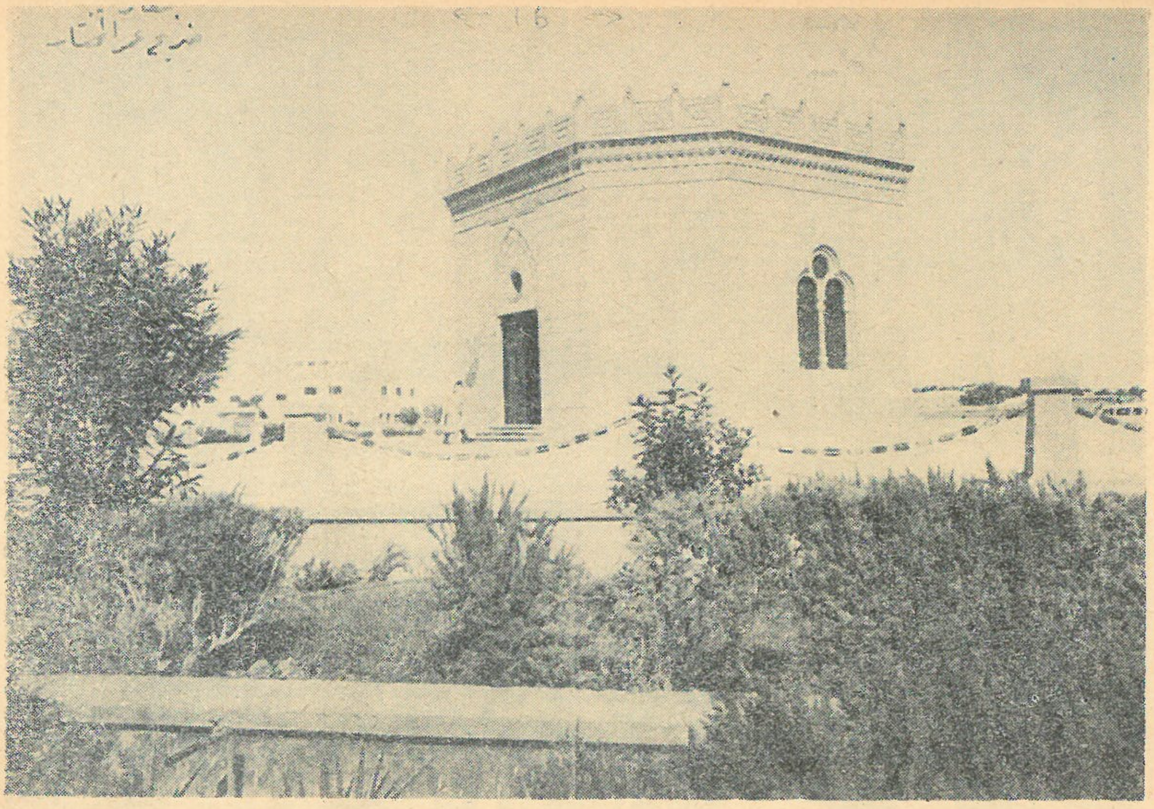

ضريح عمر المختار في بنغازي

منظر من بنغازي

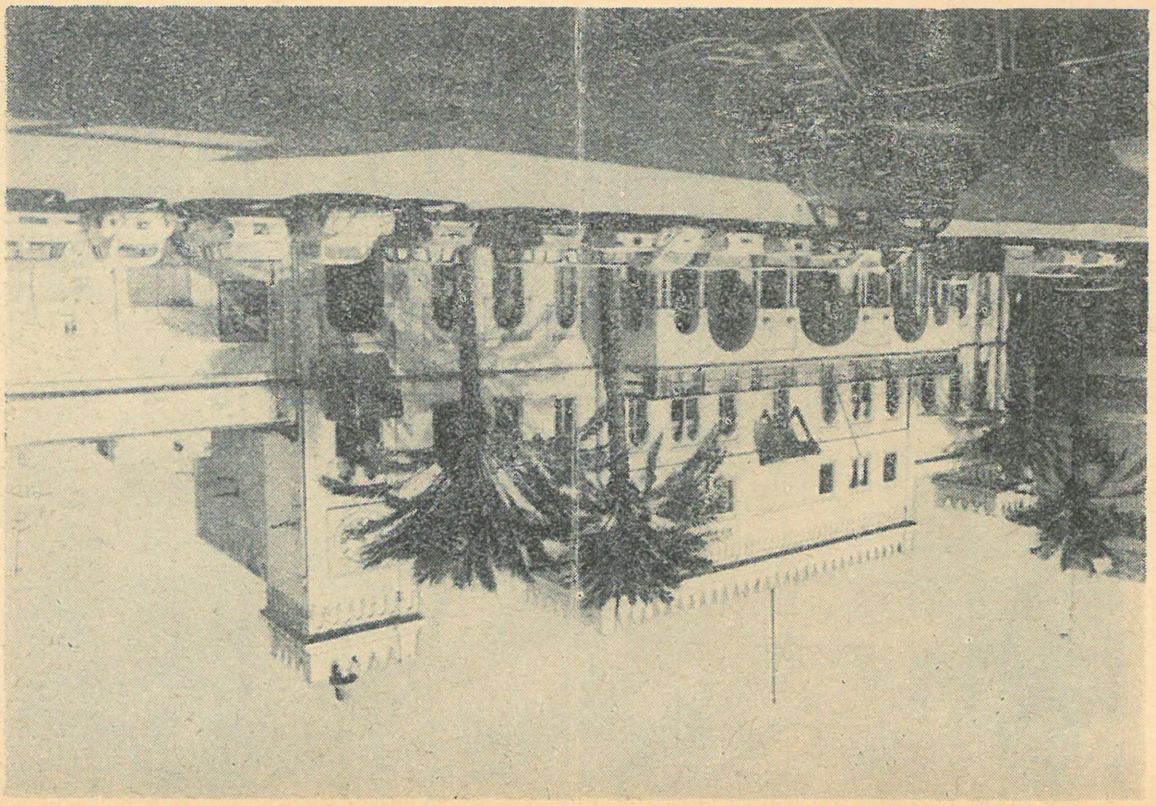

منظر من بنغازي

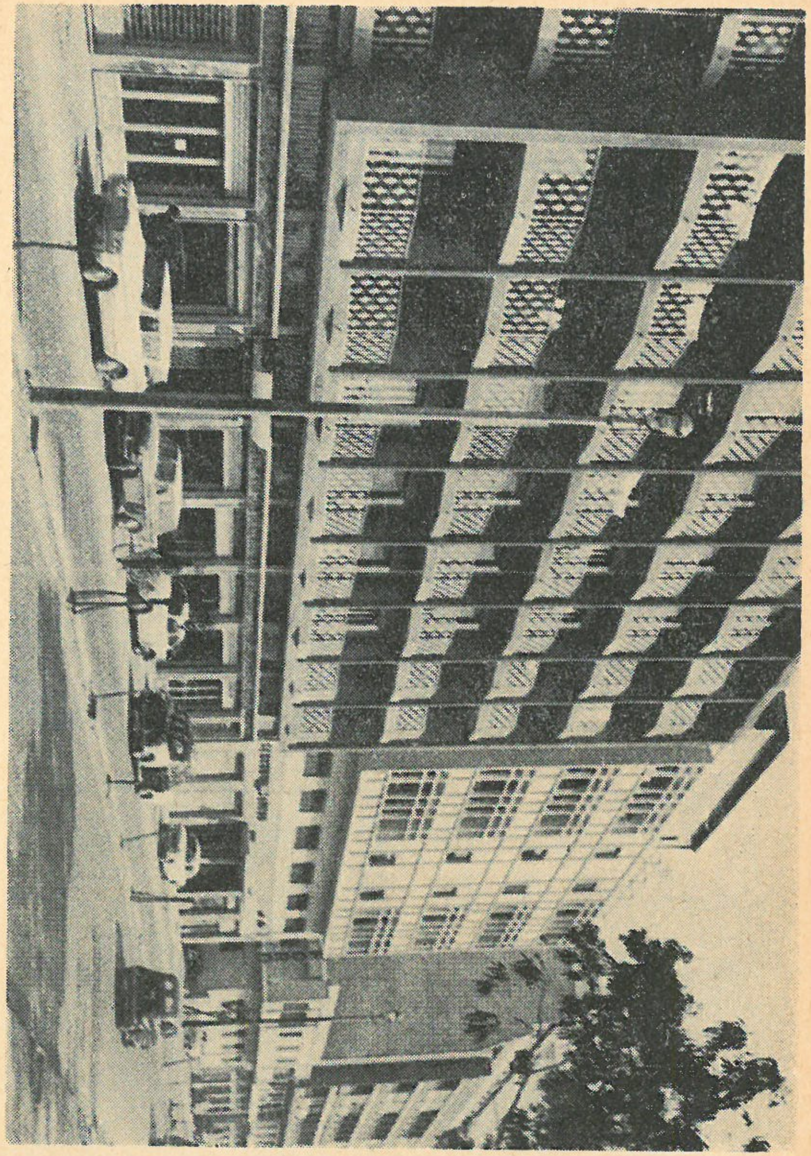

منظر من بنغازي

٢ - شحات :

سر من أسرار التاريخ وهبة من هبات الطبيعة الساحرة ، ترتفع أعمدتها الأثرية الشامخة بين هضاب الجبل الأخضر الأشم ، وإنها للوحة نادرة اشترك في رسمها ونقشها قلم الحضارات القديمة وريشة رجال التاريخ الأفذاذ فقدموا لأجيالنا الحاضرة جوهرة ثمينة تأخذ بالألباب .

ترتفـع شحات ٦٢١ م عن سطح البحر ، وتعتبر من أغنى المدن الليبية الأثرية وأهمها .

أسست عام ٦٣١ ق.م وكانت تعرف باسم « قورينا » وفيها نبع أبولون المشهور الذي يروي المدينة ، ويجري وسط حماماتها . وتبعد عن بنغازي ٢٢٤ كم إلى الشمال الشرقي منها ويصل بينهما طريق يسير وسط الغابة التي تزهو بخضرتها طيلة العام .

٣ - المرج :

وتقع بـين مدينتي بنغازي وشحات في منتصف الطريق بينهما ، وقد أسست في منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، وقد أسسها اليونان كذلك ، ولكن سكانها من الليبيين بعكس مدينة شحات التي كان سكانها من اليونان ، وقامت المنافسة بين شحات والمرج ، ولكن بقيت شحات متفوقـة طيلة العصر اليوناني . وكانت مدينة المرج تعرف باسم برقة ، وهي التي حملت الاسم لكافة المنطقة التي تقع فيها .

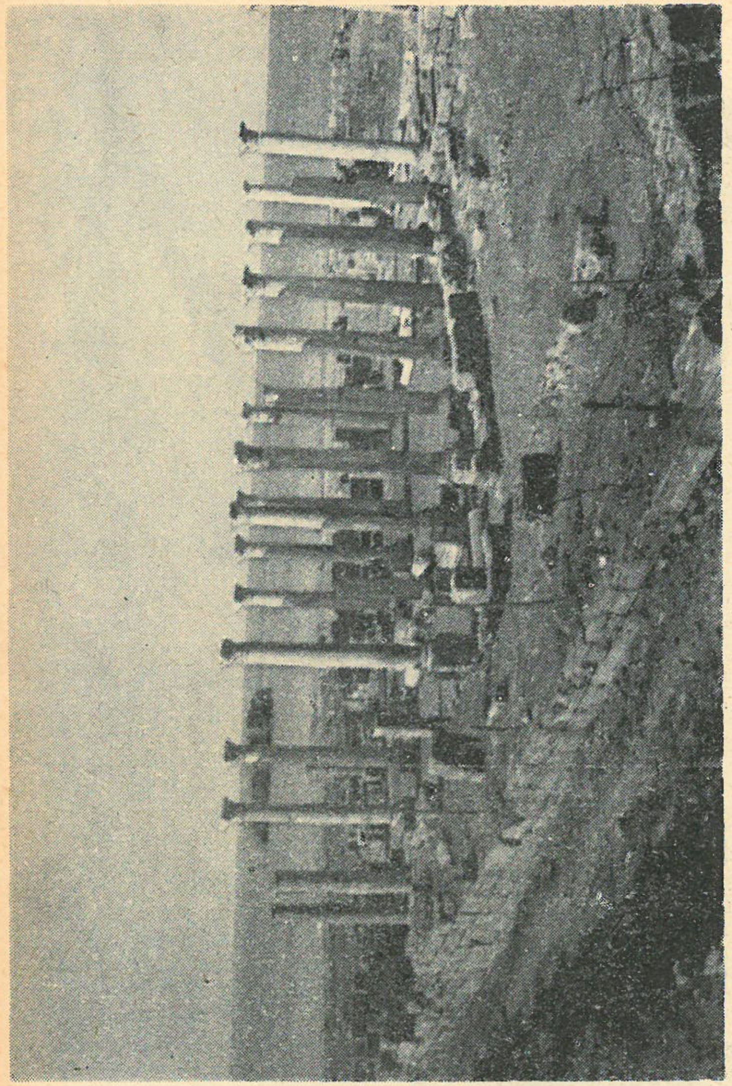

منظر أثري من مدينة شحات

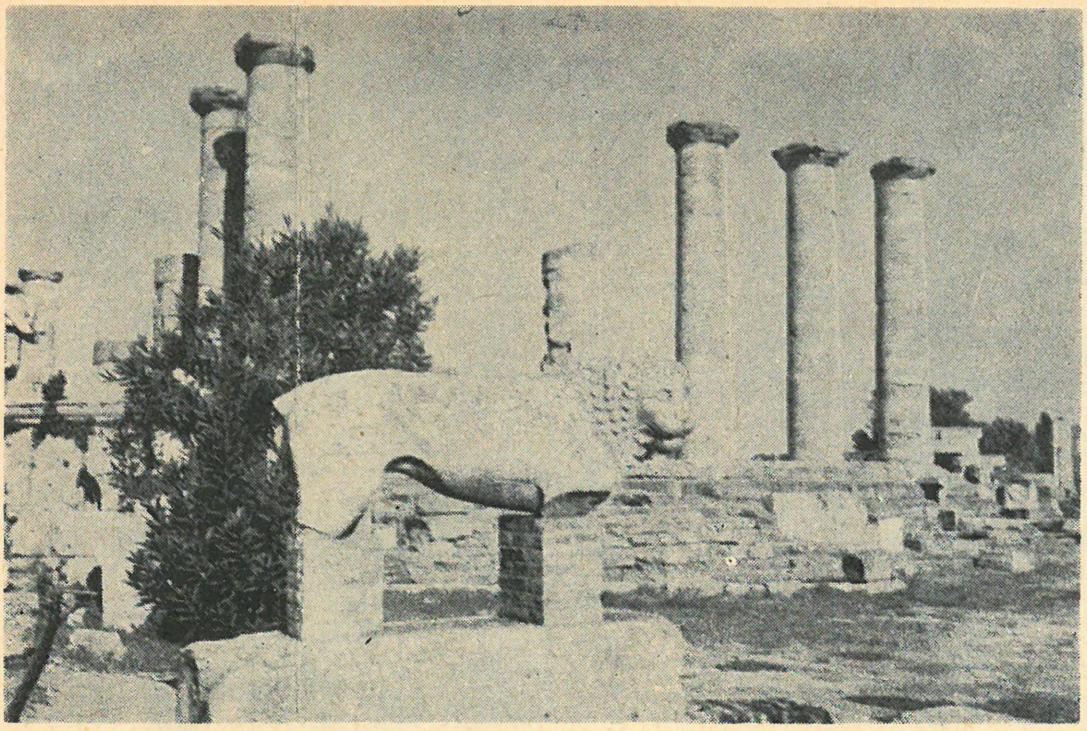

منظر أثري من مدينة شحات

منظر أثري من مدينة شحات

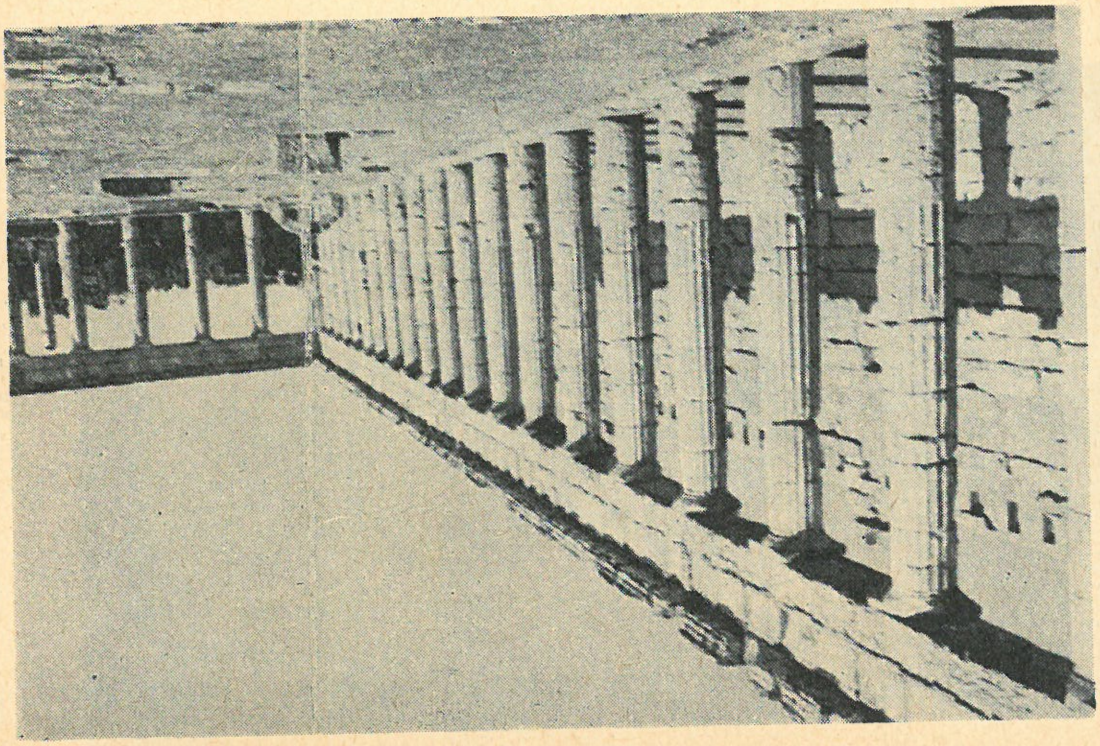

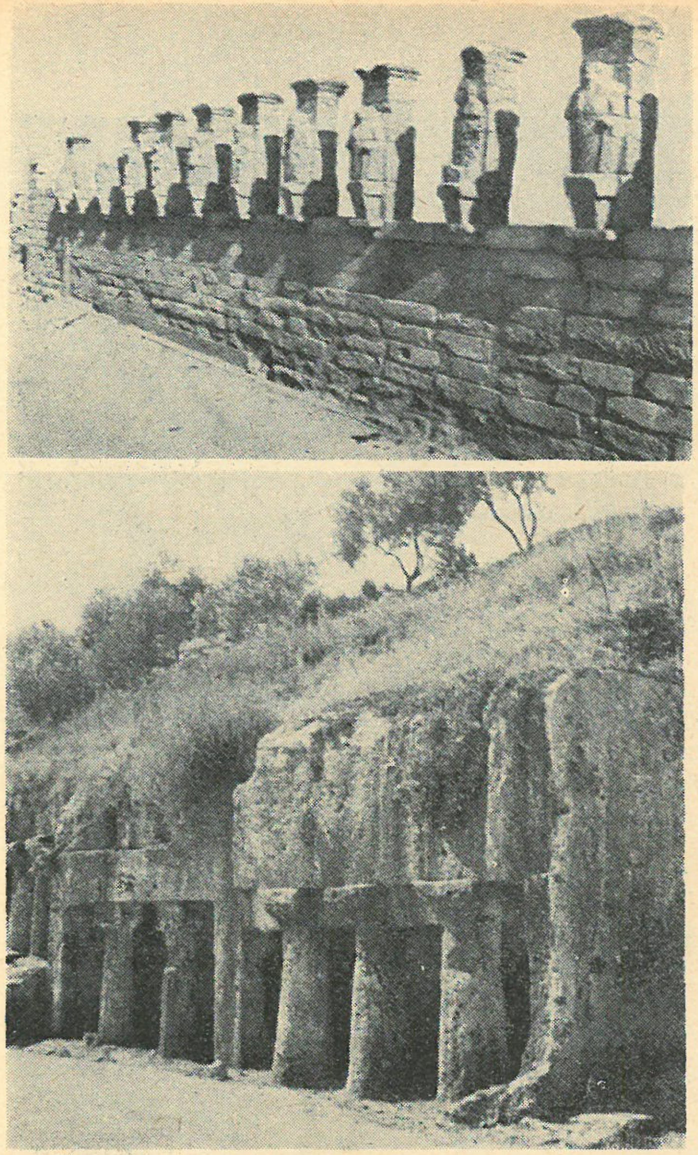

آثار في مدينة شحات

وقد أشار الادريسي إلى بعض القرى المحيطة بالمرج ، فقال إنها كانت تزرع القطن قديماً وقال إن تجار الاسكندرية كانوا يحضرون إلى المرج لشراء الصوف وعسل النحل وزيت الزيتون.
وظلت المرج تلعب دوراً هاماً في العهد الاسلامي في منطقة برقة كلها بسبب موقعها المتوسط بين مصر والقيروان .

٤ ـ البيضاء :

وتقع قريباً من مدينة شحات على الجبل الأخضر، وهي التي تقرر أن تصبح عاصمة البلاد ، وهي ذات مناخ لطيف بسبب ارتفاعها عن سطح البحر .

هذه المدينة حديثة النشأة ، فلم يكن بها حتى مجيء محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية وتأسيسه للزاوية البيضاء سنة ١٨٤٣ سوى ضريح الصحابي رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري .

وقد أسس السنوسي زاويته الأولى البيضاء في ليبيا على بعد نحو ٢ كم إلى الغرب من المدينة ، أما سبب تسميتها بالبيضاء فيرجع إلى أنها كانت البناء الأبيض الوحيد في منطقة شاسعة من الاقليم وظلت المنطقة تعرف بالزاوية البيضاء إلى أن غلب عليها بعد الحرب العالمية الثانية .

وتتكون البيضاء الحديثة من بلدتين الأولى قرب الزاوية ، أما الثانية فهي قرب ضريح الصحابي رويفع بن ثابت .

وتتوسط البيضاء منطقة زراعية ممتازة تقوم فيها زراعة اللوز والزيتون والخوخ والكروم بين حقول القمح وأحراش الغابة .

٥ - درنة :

وتعتبر من موانىء برقة ولكن ميناءها غير عميق حيث تتراكم أمامه حشائش وأعشاب البحر ، ويستعمل اليونانيين هذا المرفأ في شحن سفنهم الصغيرة بأغنام برقة إلى بلادهم .

٦ - طبرق :

وهي أقرب المدن إلى مصر ، وهناك محاولة لتوسيع الميناء ، وقد أصيب هذا الميناء بأضرار كبيرة أثناء الحرب العالمية الثانية .

٧ - سوسة :

وقد كانت تعرف باسم ميناء أبولونيا ، وقد أقيمت لتكون مرفأ لمدينة شحات .

٨ - طوكرة :

كانت تعرف باسم (ارزينوي) أوتاوكيرا ، وتقع بين المرج وبنغازي ، وقد وصفها الادريسي بكثرة السكان وغنى الحقول الزراعية حولها .

٩ - أجدابيا :

وتقع في نهاية المنطقة المطيرة ، وتكثر فيها الحشائش ، وتكون على الطريق الواصلة بين برقة وطرابلس بالقرب من خليج سرته ، وقريبة من مرفأ الزوتينية ، وقد وصفها الادريسي بأنها تقع في منطقة حشائش فقيرة ، وكان يسكنها التجار من اليهود والمسلمين .

١٠ - جغبوب :

مركز السنوسية وقريبة من الحدود المصرية ، تمر الحدود بينها وبين واحة سيوة . وفيها ضريح محمد بن علي السنوسي ، وقد قلّت أهمية الواحة عندما انتقل مركز السنوسية إلى واحة الكفرة عام ١٩٢٦ م .

٣ - في ولاية فزان : وأشهر المدن فيها :

١ - سبها :

وهي العاصمة الحالية للولاية كما أنها مركز محافظة تحمل نفس الاسم ، وهي واحة هامة ، ومركز لالتقاء الطرق .

٢ - مرزوق :

العاصمة القديمة لولاية فزان ، وتعتبر آخر الواحات الهامة .

٣ - أوباري :

مركز محافظة أوباري ، وهي واحة في وادي الأجلى،وتقع على الطريق الصحراوية التي تصل ليبيا والجزائر .

٤ - غات :

وهي واحة في قلب الصحراء ، وتتبع منطقـــة فزان ، قريباً من الحدود الجزائرية ، وبين جبـل الاحجار ، وفي وسط وادي يجتازه طريق تصل بين ليبيا والجزائر والنيجر .

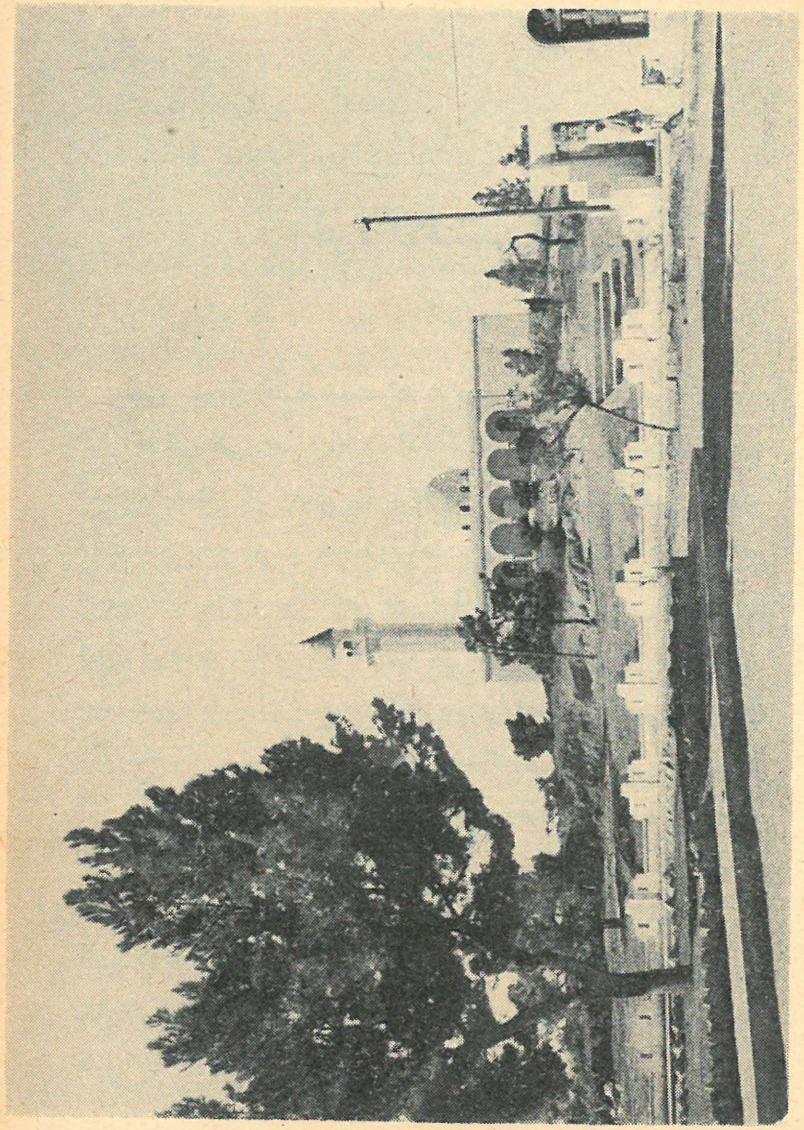

غريان — الجامع

الحياة الاقتصادية

حتى سنوات قليلة خلت كانت موارد ليبية الأساسية من الزراعة التي هي عماد الحياة الاقتصادية ، وكانت مهنة معظم السكان حيث كان يعمل بها أكثر من ٨٠ ٪ ، ولكنها ليست ذات انتاج مستقر ، حيث يختلف المحصول من سنة إلى أخرى حسب كمية الأمطار الهاطلة التي تختلف في تهطالها من عام لآخر ، كما أن الوسائل المتبعة في الزراعة هي وسائل قديمة ، فلم تتطور بعد تطوراً يتناسب مع تطور غيرها من البلدان الأخرى بسبب الأوضاع المادية التي كانت سائدة آنذاك ، كما أن الرياح القبلية التي تهب من الصحراء ذات أثر سيىء إذ كثيراً ما تتلف هذه الرياح المحملة بالرمال المزروعات وتقضي عليها عندما تعصف . لذا كان همّ الحكومات المتتابعة منصباً على تأمين المياه للري بحفر الآبار ، ومحاولة خزن مياه الفيضان في الأودية التي تمتلىء بمياه الأمطار ، ومحاولة حماية المزروعات من تلك الرياح القبلية .

وما أن اكتشف البترول ، وبدأ الانتاج حتى بدأ يصيب الزراعة ضرر آخر هو نزوح الفلاحين عن أراضيهم للعمل في حقول البترول التي تعطي مردوداً أفضل ، وبشكل ثابت ، مما أنقص نسبة من يعمل بها . مما أخر الزراعة ، وحدا بالحكومة إلى أن توجه اهتمامها مرة أخرى نحوها .

وتقوم الزراعة بالدرجة الأولى في المناطق الساحلية ذات الأمطار الكافية ، أما في بقية المناطق فلا نجد لها أثراً إلا في الواحات وحول الآبار ، وأهم أنواع الزراعة هي :

١ً – الحبوب :

ويختلف الانتاج من عام إلى آخر ،فقد يرتفع فيصل إلى نصف مليون طن ، وقد يتدنى حتى يهبط إلى ١٨٬٠٠٠ طن ، ويتفوق انتاج الشعير على القمح ، حيث تنفرد به ولاية فزان ، وتعتمد زراعته هناك على مياه العيون والآبار مما يجعل إنتاجه ثابتاً تقريباً ، هذا إضافة إلى ما يزرع في ولايتي برقة وطرابلس ، أما القمح فتقتصر زراعته على الولايتين الأخيرتين والقسم الأكبر منه يزرع بعلا مما يجعل إنتاجه يترنح بين عام وآخر .

٢ً – الزيتون :

ويوجد في البلاد ٤ ملايين شجرة زيتون معظمها في منطقة طرابلس والجبل الأخضر ، ولا يزال بينها ٧٥٠٬٠٠٠ شجرة لم تؤت أكلها بعد،منها ما هو بري لم يتم تطعيمه ومنها ما قد زرع

حديثاً لم يثمر بعد . وتعطي هـذه الأشجار ٧٥,٠٠٠ طن من الزيتون ، يعصر منها ٢٥,٠٠٠ طن من الزيت .

٣ً – الكرمة :

ويزرع معظمها في طرابلس وحول مدينة البيضاء وتعطي ما يقدر بـ ٥٠٠٠ طن من العنب ، ولا يستعمل العنب لعصر الخمر ، حيث يحرم تعاطيه ، بينما كان هذا شائعاً أثناء الاستعمار .

٤ً – اللوز :

وتقوم زراعته في المرتفعات الساحلية ، وتعطي ليبية ٤٠٠٠ طن منه .

٥ً – الحمضيات :

وتقدم من الحمضيات ٩٠٠٠ طن ، وقد يفيض عن الاستهلاك في بعض الأعوام حيث يصدر إلى جزيرة مالطة .

٦ً – الفول السوداني :

ويصل الانتاج إلى ٨٠٠٠ طن سنوياً .

٧ً – التبغ :

ويزرع على مساحات محدودة وخاصة حول مدينة غريان .

٨ – النخيل :

ويوجد في البلاد ٣ ملايين شجرة نخيل موزعة في مختلف الولايات على الشكل التالي :

ولاية طرابلس	١,٦٨٠,٠٠٠	شجرة نخيل
ولاية فزان	١,٢٦٠,٠٠٠	» »
ولاية برقة	٠,٠٦٠,٠٠٠	» »

النبات الطبيعي :

توجد في برقة على الجبل الأخضر غابة حقيقية ، وإن كانت غير كثيفة ، وأشهر أنواعها السرو والصنوبر والزيتون البري .

كما ينبت في منطقة السهوب نبات الحلفا الذي يصبح المادة الأساسية لصناعة الورق ، ويصدر الانتاج إلى أوربا ثم يجنى العسل الذي يؤخذ بالدرجة الأولى من ولاية برقة .

تربية الحيوانات :

يعمل في الرعي ٤٠ ٪ من السكان ، لأن قسماً منهم يعمل في الزراعة والرعي بآن واحد ، وأهم الحيوانات التي تربى ، الأغنام والماعز والأبقار والخيول ، ثم هناك الإبل التي تختلف في وزنها فالخفيف وهو ما يسمى بالمهاري يستعمل في الصحراء لأغراض عسكرية ، والثقيل منها يستعمل في الحراثة والنقل .

صيد السمك :

تصطاد الأسماك على السواحل الليبية ، وتقدر كميتهــا بـ ٢٥٠٠٠ طن من السردين والطونة . كما يصطاد الاسفنج وتقدر كميته بـ ١٢ طن سنوياً .

البترول والثروة المعدنية

لم تثمر جهود الطليـــان في التنقيب عن البترول ، ولكن وجوده في البلاد المجاورة ، وقرب الحدود ، وفي أراض مشابهة البنية للأرض الليبية ، وخاصة في الجزائر ، أكد احتمال وجوده ، وقد وفقت شركة (أسو) عام ١٩٥٧ في الحصول على البترول في موقع عطشان قرب الحدود الجزائرية . ولكن البعــد عن الساحل وعدم وجود المواصلات ، والتقديرات الأولية التي دلت على ضعف الاحتياطي كل ذلك حال دون استثمار هذا الحقل .

أعطيت امتيازات لـ ٢٤ شركة في التنقيب عن البترول على مساحة تقدر بـ ٦٥ ٪ من مساحة البلاد ، وكانت الحكومة الليبية تساهم في ١٧ شركة منها ، ويوزع نصيب هذه الشركات كالتالي :

٧٤٫٤ ٪ لاميركا
١٥٫٩ ٪ لانكلترا وهولنده
٧٫٢ ٪ لألمانيا بصفتها مساهمة بشركة (موبيل اويل)
٢٫٥ ٪ لفرنسا وايطاليا وليبيا

وفي عام ١٩٦٠ كان عدد الآبار التي حفرت ١٥٦ بئراً ، ظهر النفط في ٤٩ منها ، واستخدمت آنذاك ٩١٥٠ رجلا ليبياً في أعمال البترول .

وجد البترول جنوب خليج سرته على بعد ١٦٠ كم في سعل في مجموعة حقول تمتد على شكل خليج . وكان الانتاج في أول أمره ٥ مليون طن ، ثم بدأ في الارتفاع بشكل سريع فوصل عام ١٩٦٦ م إلى ٧٢ مليون طن ، ولكن حرب عام ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل ، واغلاق قناة السويس ، وانقطاع تدفق البترول نحو الدول المستهلكة من الخليج العربي ، زاد استخراج البترول من ليبيا فوصل انتاج عام ١٩٧١ إلى ١٧٠ مليون طن وبذلك احتلت ليبيا المرتبة الأولى بين الدول العربية ، ونالت المرتبة الرابعة العالمية بعد الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي وفنزويلا .

وقد أممت حكومة الثورة الشركة الانكليزية .

والبترول الليبي غني بالمواد الخفيفة فقير بالمواد الثقيلة مما يجعل البنزين الممتاز يشكل قسماً كبيراً منه وأشهر الأحواض في ليبيا هي :

١ – في ولاية طرابلس :

باهي – ضهرا – مبروك وينقل بترولها إلى ميناء سدرة على خليج سرته . بئر العلق جنوب غرب طرابلس وهو ذو أهمية محدودة .

٢ - في ولاية برقة :

زلطن – رباح – راقوبة وينقل بترولها إلى مرسي بريقة على خليج سرته .

كلنشيو – حراش – واحة – دخه – زقوط – بالحيضان – السماح – بيضا وينقل بترولها إلى ميناء سدرة ، ويكون خط الأنابيب على شكل نصف دائرة .

جالو – ادريس وينقل إلى ميناء الزويتينية .

نافورة – آمال وينقل إلى رأس لانوف .

السرير وينقل البترول منه إلى ميناء طبرق على ساحل البحر الأبيض المتوسط قرب الحدود المصرية .

ومن الأحواض المعروفة أيضاً في هذه الولاية كوف – عورة وهي ذات أهمية قليلة .

٣ - في ولاية فزان :

لا يوجد سوى بئر عطشان الذي تكلمنا عنه .

أما بقية الثروات المعدنية فهي :

الحديد في وادي الشاطىء شمال سبها قرب براك .

المنغنيز في بئر القاف شمال شرق سبها . وفي نالوت قرب الحدود التونسية .

الفوسفات في بني وليد جنوبي غربي مصراطة .

الكبريت غرب زلطن .

ولكن هذه الثروات لم تستثمر بعد ، وقد طغى البترول على

التفكير باستثمارها .

ثم هناك الملح ويستخرج من قرب بنغازي ، ومصراطة وطرابلس .

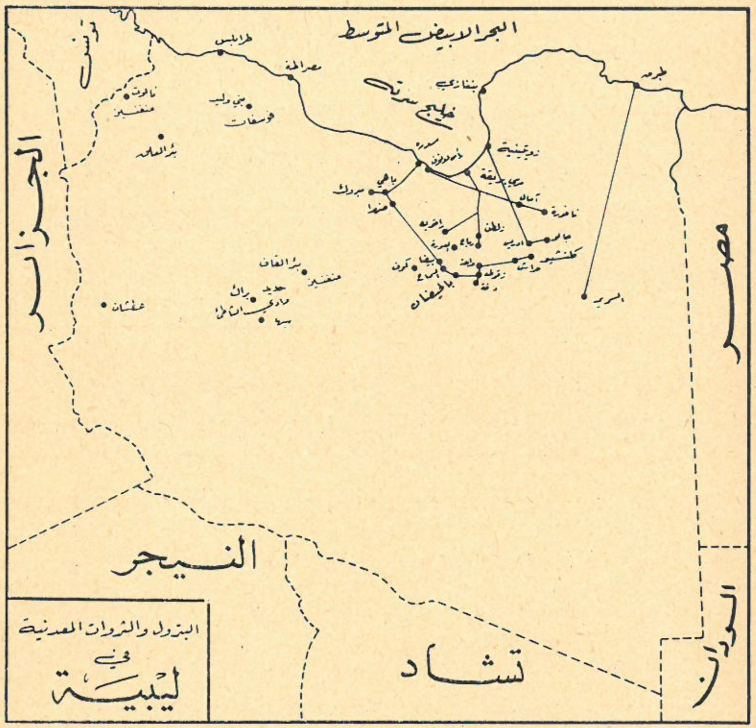

الصناعة :

لا تزال الصناعة بسيطة في ليبية بسبب الأوضاع التي مرت عليها وما لاقت من ويلات المستعمرين ، وقد كانت أهم هذه الصناعات :

١ً — صناعة زيت الزيتون في المنطقة الساحلية حيث تكثر أشجار الزيتون .

٢ً — حفظ التمر .

٣ً — المنسوجات ومنها نسج (الحوالي) والبسط والخيم في مدن طرابلس ومصراطة وبنغازي ودرنة .

٤ً — دبغ الجلود .

ثم دخلت صناعة حديثة أشهرها تكرير البترول في موانئه في طبرق ، وزوتينية ومرسي بريقة ورأس لانوف وسدرة .

وصناعة السكر في مدينة العزيزية جنوب طرابلس على بعد ٤٥ كم منها .

وصناعة الصلب في طرابلس و كذا الاسمنت .

وتعليب الاسماك .

التجارة :

تصدر ليبية البترول ، والحلفا ، وعلب السمك ، وأحياناً الحمضيات . وتستورد كل ما يلزمها . وقد أصبح الميزان التجاري راجحاً بعد زيادة عائدات البترول .

المواصلات :

تعتبر المواصلات في ليبية قليلة جداً بالنسبة لمساحتها الواسعة ، حيث لا يوجد سوى طريق رئيسي واحد يصل إلى فزان .

وقد نافست الطرق المعبدة السكك الحديدية حتى استطاعت إلغاءها ، فقد كانت السكك الحديدية توجد في منطقتين منفصلتين إحداهما في طرابلس والثانية في برقة مما لا يستفاد منها كثيراً ، كما أنها لا تصل ليبية بالعالم الخارجي ، وهذه الخطوط هي :

طرابلس ـ زوارة وطوله ١٢٠ كم .
طرابلس ـ تاجوراء « ٢١ كم .
طرابلس ـ العزيزية « ٥٠ كم .
أما في برقة : بنغازي ـ سلوق وطوله ٥٦ كم .
بنغازي ـ المرج (برقة) .

أما الطرق المعبدة فهناك طريق يصل منطقة الساحل من حدود مصر حتى تونس مما يجعل الفائدة منه أشمل ، وهناك عدة طرق تصل المدن المهمة في ولاية طرابلس مع بعضها مثل:

طرابلس ـ بني وليد .
طرابلس ـ العزيزية ـ غريان .
الزاوية ـ يفرن .
العزيزية ـ يفرن .
غريان ـ يفرن ـ نالوت .

ثم هناك طريق يصل بين الساحل ووادي الآجال ويمر في

بئر القاف وسبها ويصل إلى الرقبة .

وفي برقة خطان متوازيان على الساحل يلتقيان في مدينة المرج ويتفرعان منها .

وما عدا ذلك فطرق من الدرجة الثانية وطرق صحراوية تصل بين الواحات وبين ليبيا والبلاد المجاورة لها عبر الصحراء .

الموانىء :

تعتبر طرابلس وبنغازي ودرنة وطبرق موانى بحرية إضافة إلى الموانىء البترولية الحديثة في الزوتينية ومرسي بريقة ورأس لانوف وسدرة .

المطارات :

ويوجد مطاران في البلاد أحدهما في طرابلس والآخر في بنغازي .

مشكلات ليبيا

تواجه ليبية مشكلات عديدة بعضهـــا خارجي يرتبط في علاقتها مع الدول الأخرى القريبة منها والبعيدة وبعضها الآخر داخلي يتعلق في الشعب وما يمكن أن يتم من إصلاحات .

المشكلات الخارجية :

١ – مع تشاد : تأخذ مشكلات ليبية مع تشاد منحيين أولهما فيما يتعلق بالحدود والآخر يرتبط بنظـام الحكم القائم في تشاد .

أ – مشكلة الحدود :

تشاد دولة كبيرة تقع في الجنوب من ليبيا ، وليس بينهما حدود طبيعية إلا في بعض أقسام الحدود . ولكنهـا حدود اتفاقية ، لكنها حتى الآن لم ترسم بشكل نهائي .

كانت تشاد ضمن الأراضي المعروفـة سابقاً باسم « إفريقية

الاستوائية الفرنسية » والتي تشمل تشاد وجمهورية إفريقيـة الوسطى والكاميرون والغابون والكونغو ، ولكن هذه المجموعة قد حلت عام ١٩٥٩م واستقلت تشاد عام ١٩٦٠م .

والصلات وثيقة بين ليبية وتشاد من حيث التجارة فإن ٧٠ ٪ من تجارة تشاد بأيدي الليبيين ، وقـد بلغ عدد التجار الليبيين في تشاد سنة ١٩٦٦ أكثر من ٣٥٫٠٠٠ تاجر ، وقد عاد معظمهم بعد تدفق الثروة البترولية في ليبية والأحداث الأخيرة التي حدثت بين البلدين . وهناك القبائل التي تنتقل عبر الحدود حيث تملك أراضي غير الجارتين ، أو يقيم بعض أفخاذهـا في دولة غير التي يعيشون فيهـا ، وبعض القبائل تقيم في بلد بينما تحمل جنسية البلد الثاني . ويوجد ٣٠٠٠ جندي من قبائل البيتو المقيمة في تشاد في الجيش الليبي .

رسمت الحدود بين البلدين عام ١٩١٩ على يد فرنسا وايطاليا الدولتين المستعمرتين لهذين البلدين ، ثم عدلت هـذه لحدود باتفاقية ١٩٣٥ ، دخلت بموجبها الأقسام الشمالية فيجبال تيبستي ضمن ليبيا ، ولكن هذه المعاهدة لم تنفذ بنودها ، وأثناء الحرب العالمية الثانية وسعت فرنسا حدود تشاد على حساب ليبية ، ثم صرف النظر عن اتفاقية ١٩٣٥ نهائيـاً عام ١٩٥٥م . وتعتبر ليبية مر (كوريزو) نقطة حدود بينما هي الآن ضمن تشاد ، وتبعد عن الحدود التي رسمتها فرنسا أكثر من ٦٠ كم ، ورغم عدم أهمية المناطق المتنازع عليها إلا أنها تعتبر أهم مشكلة قائمة بين

البلدين .

ب – نظام الحكم القائم :

يحكم تشاد اليوم أقلية لا تزيد عن ١٠ ٪ من قبيلة السار – الفرع الذي دان بالنصرانية ، وتتمثل هـذه الأقلية في الحزب التقدمي التشادي .P. P. T الذي يرأسه تومبا لباي رئيس الجمهورية الحالي ، بينما يشكل المسلمون أكثر من ٨٥ ٪ من السكان ومع هذه النسبة فإنهم لا يمارسون أي نوع من السلطة ، ويلاقون كل أنواع الاضطهاد،ويستبعدون عن كل دوائر الدولة ومؤسساتها، وعن الجيش .

ويدعم الحكم التشادي القـائم كل من فرنسا والمؤسسات التبشيرية المحلية والعالمية ، وهذا ما جعل المسلمين يقومون بحركات وثورات متكررة وخاصة في الفترة الأخيرة ،حيث قامت حركة عام ١٩٦٥ ، أعقبتها ثورة ١٩٦٧ – ١٩٦٨ والتي لم تستطع حكومة تشاد من إعادة سيطرتها على الوضع ١٩٧٠ ، ثم جرت محاولة انقلاب في نهاية شهر آب عام ١٩٧١ قادها أحمد عبد الله الذي انتحر ليلة الانقلاب ليخفي التنظيم وأعضاءه بعـد فشل المحاولة . وادعت تشاد أن ليبية كانت من وراء هـذه الحركات كلها ، وأنها هي التي تمدها بأسباب القوة والعمل ،وتوترت العلاقة بين الدولتين ، واعترفت ليبية بالجبهة الشعبية لتحرير تشاد في ١٩ أيلول ١٩٧١ التي تعمل على تغيير الحكم ، وسمحت لها بالعمل

في أراضيها .

٢ – مشكلة المسلمين :

تهتم ليبيا حالياً بمشكلات جميع المسلمين في العالم ، وتتكرر مشكلاتهم بشكل دائم بحيث لا ينقضي عام إلا وتصيبهم محنة في كل بقعة من بقـاع الأرض فمن الفيليبين إلى باكستان ومن زنجبار إلى قبرص و . .

٣ – مشكلة الاتحاد :

رغم أن ليبية قد اشتركت مع مصر وسورية في إنشاء اتحاد يضم هذه الدول الثلاث ، إلا أن هناك خلافا واضحاً من حيث التفكير ، وتشريع القوانين ،ونظام الحكم ، والتطبيق والتنفيذ، ويظهر ذلك على لسان المسؤولين في بعض المناسبات ، هذا رغم كل الجهود التي تبذل لالتقاء الفكر .

المشكلات الداخلية :

يواجه الحكم الحالي القائم في ليبيا عدم نشاط الشعب وقلة فعالية وهذا ما يؤخر تنفيذ الاصلاحات المترتبة . إضافـة إلى كره الشعب إلى من يأتيهم من خارج البلاد في سبيل إعمار البلاد حتى ولو كان قادماً من البلاد العربية ويطلقون على الجميع اسم « أجانب » ، وكثيراً مـا طرح العقيد القذافي رئيس البلاد الحالي هـذه المشكلة أمام الشعب بالذات وحثهم على العمل .

وأخيراً نرجو من الله أن نكون قد وفقنا في إعطاء القارىء معلومات عن هذا البلد الشقيق تعتبر حداً أدنى لما يجب أن يعرفه ، وأن تكون أعمالنا هذه خالصة لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس

	ص
المقدمة	٥
جغرافية ليبية	١٠
المنـــاخ	١٥
الجاهلية الأولى	١٧
الإسلام	٢١
الجاهلية الثانية	٣١
السنوسية	٣٦
الاستعمار	٣٩
الاستقلال	٥٠
الثورة	٥٣
السكان	٥٩
اللغـــة	٦٦
الدين	٦٧
العادات الاجتماعية	٧٠

	ص
المحافظات والمدن	٧٦
الحياة الاقتصادية	١٠٦
البترول والثروة المعدنية	١١١
مشكلات ليبية	١٢٢

مكتبة إقبال

سلسلة تضم جميع أعمال محمد إقبال ومختارات من مؤلفات وضعت عنه .

صدر منها :

١ — إقبال الشاعر الثائر — د. نجيب الكيلاني

٢ — محمد إقبال — د. عبد الوهاب عزّام

٣ — شكوى وجواب شكوى — شعر محمد اقبال

تحت الطبع :

٤ — ضرب الكليم

٥ — إقبال في مسجد قرطبة وقصائد اخرى

٦ — بيام مشرق

المكتبة العلمية

السلسلة التي يجب أن يقتنيها كل مثقف

صدر منها : المجموعة الأولى

١ — حدود العلم ج . سوليفان

٢ — طبيعة العقل ج . سوليفان

٣ — الكون المتسع ج . سوليفان

٤ — قيمة العلم ج . سوليفان

٥ — صنعة العلم ماكس فيبر

تحت الطبع :

٦ — الاسلام والعلم

المجموعة الثانية تصدر قريباً

صدر حديثاً عن الدار العلمية :

.. ودخلت الخيل الأزهر

محمد جلال كشك

— الكتاب الذي يكشف عن أسرار الاحتلال الفرنسي لمصر واقتحام خيول نابليون للأزهر . وميلاد المقاومة المصرية للغزو الفرنسي .

— الكتاب الذي يكشف عن معنى اقتحام الأزهر وعن دوره في تفجير ثورة الشعب المصري على الاحتلال .

— الكتاب الذي يفضح تفسيرات المدرسة الاستعمارية لأهم فترة من تاريخ مصر الحديث .

— الكتاب الذي يجب أن يقرأه كل مصري وكل أزهري وكل عربي .

الآن في كل مكتبات العالم العربي

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
بيروت - ص. ب ٥٦٢٠ - هاتف ٢٩٣٠٤٢